

روايات الهلال

العجز

فؤاد قنديل

REWAYAT AL-HILAL
No. 417 — September 1983

Amly

<http://arabiccivilization2.blogspot.com>





روايات الهلال

Amly

<http://arabicivilization2.blogspot.com>

مجلة شهرية لأشهر القصص العالمية

روايات الهلال

REWAYAT AL - HILAL

تصدر عن مؤسسة دار الهلال

العدد 417 - سبتمبر 1987 - ذو الحجة 1407
No. 417 - September 1987

رئيس مجلس الإدارة: مكرم محمد أحمد

رئيس التحرير: كمال النجدي

سكرتير التحرير: موسى عبيد

الاشتراك

يجب الاشتراك السنوي = 12 عدداً = في جمهورية مصر العربية ثلاثة جنيهات مصرية بالبريد العادي ، وفي بلاد أحياسان البرية العربي واللاتيني وباكستان خمسة جنيهات مصرية أو ما يعادلها بالعملة الحرة بالبريد الجوي وفي سائر أنحاء العالم عشرة دولارات بالبريد العادي وسترون دولاراً بالبريد الجوي

والقيمة لسند مضمناً لسحب الاشتراكات بدار الهلال في ج.م.ع. بحدوث برتيدية غير حكومية وفي الخارج بتيكيت مصري لا غير مؤسسة دار الهلال وتصل وتسبب رسوم البريد المسجل على الاستحواذ للقيمة ثلاثة عند الطلب

أما البيع للتصدير في البلاد العربية الثلاثة المذكورة أعلاه من روايات الهلال
لن التسعة في البلاد العربية الثلاثة المذكورة أعلاه اعتباراً من شهر يوليو سنة 1987
فله 200 ملجم للقرية في مصر

سوريا 600 ق.س. - لبنان 600 ق.ل. - الأردن 500 ق.س. - الكويت 500 ق.س. - العراق 500 ق.س. - السعودية 600 ريال - السودان 600 ملجم - تونس 600 ملجم - المغرب 500 فرنك - الجزائر 600 سنتا - الخليج 500 ق.س. - ق.ز. والقيمة 1000 ليرة - الصومال 500 بنج - داكار 500 فرنك - لاغوس 600 بنج - أسبيرة 500 سنت - السن - ليبالية 500 بنج - باريس 500 سنت - باريس 500 فرنك - لندن 500 بنج - إيطاليا 500 ليرة - سويسرا 500 فرنك - ألبانيا 500 ليرة - كندا 200 سنت - فنلندا 200 كروونا - كورنجان 100 كروونا - استوكهولم 100 كروونا - كندا 200 سنت - البرازيل 200 كروونا - نيويورك 200 سنت - لوس أنجلوس 200 سنت - أستراليا 200 سنت - هولندا 1 فلورين

العجز

مجموعة
قصص

يقام

فؤاد قنديل



دار الهلال

الطلاف والرسوم الداخلية بوشة
الفسانة سمجة حسين

الدم



إهداء

إلى شريكة الحياة
ورفيقة العمر

نموذج الاخلاص والحب

فؤاد

الدم

عندما وضعت قدمي على أول درجة من درجات السلم الحجري،
استوقفتني اللحظة منظر دم . تنقط من الدم .. لكنني لم اهتم .
كل شيء ممكن حدوثه . والاهتمام يكون بقدر الانفعال ، والانفعال
يكون بقدر الخصوصية .

لكنني مع درجة أخرى ، وجدت نقطة أخرى من دم . ثم درجة
ثالثة ورابعة .. كلما صعدت وجدت الدم يسبقني . توجست .
بدأت الأسئلة تدق راسي . ما هذا الدم ؟

هل يا ترى دم دجاجة أم دم انسان ؟ .. أم دم قط أم دم ..
أم مجرد لون .. سائل احمر .

واذا كان دما بشريا فهل يخصنا ؟

تقل دق الأسئلة وطرق الأفكار على راسي .. هل يخصني ؟ ..
في هذه الحالات يسرع العقل في طريق التشاؤم ، حتى ليتخيل
الانسان أن مخلوقا من السمماء جاء خصيصا ليذبح ابنه ، وقد
يتصور آخر أن رسامة خاطئة أصابت زوجته .
زوجته هو بالذات من دون كل الزوجات .
شيء معقول وممكن .

لا شيء يستبعد في هذا الزمان . فالمجانين يحيطون بنا ، بل ربما
تكون ضمن هؤلاء المجانين .

لم تعد التصرفات الحمقاء والخرقاء في هذا العصر ، مقصورة
على الهمجى دون المتعلم ، أو الريفي دون الحضري . لقد غدت
الانهار بلا جسور واختلط الحابل - كما يقولون - بالنابل .

لم تعد هناك برامج محددة لخطوات الانسان ولا مناهج لسفوكه
ولا خطة له في الحياة . أصبحت المسائل ارتجالية وبنت لحظتها
ومعظمها ردود افعال وليست افعال .

كالخائف حين يحسب القطعة في الليل روحا شريرة أو عفريا
يتعمص جسد قطعة الى غير ذلك .

انا بالذات دق قلبي بعنف ، حين وقعت عيني على الدم .. انا
بالذات لم أفكر في الجائين ، ولم تشغلني رصاصة طائشة ..
شغلتنى رصاصة حقيقية ، رصاصة تبغى من زمن ، وترقبنى
طويلا لتنتقل الى صدرى ، فتصيب ودمى ، وتنتهى القضية .

فجأة تصوره امامى . ارتسم فى راسى وقلبي وجهه الشرس
وشارب الضخم ونظراته القسالة . فجأة احاطتني من كل جانب .
لفتنى نظراته كثمان ، قيدتنى ، علقتنى وشغلتنى .

وقفت على السلم مجمدا . درت حول نفسى مذمورا ..
هل جاء ؟

هل عرف مكاننا .. وكيف ؟

لا .. لا تسال كيف .. لا يصعب عليه شيء ، انه داهية .. يأتى
من اسيوط الى رشيد بحثا عنا ، ليصوب رصاصاته فينا ويرتاح ..
يرفع رأسه بعسدها ويظهر وجهه كله المختفى خلف « التلاويح »
« الكوفيات » و .. و .. حتى لا يبقى له الا عينان كعيني بندقته
المنشاقة .

عبون لا يفض لها جفن ليل نهار .. سنوات مضت .
لا تسال كيف يجد طريقه اليها .

يستطيع ان يلفتنا - وله عيسون - حتى لو ابتلعنا الارض او
اختبانا فى بطن الحوت ، يستطيع ان ينفذ من ثقب الابرة .. وغير
العبون له أنوف تشم آثارنا وتبتدى الى روايتنا انى ذهبا ؟ .. آه
مسح البلاد كلها من جنوبها الى الشمال .
ما هذا الدم ؟

هل يمكن ان يكون قد ؟ .. لا اظن .

فقط انا لا اظن ، من باب الأمل في الله والطمع في رحمته .

بارب ليس الآن .. بارب اجل قضاءك .

هل هذا الدم .. دمهم ؟

دق قلبي بعنف .

فجرت انايخ الدم . الدم يقفز معى ، الى ان بلغ شغتى .
وانتهى هناك . نفذ تحت مقب الباب .. توقفت اقلب الامر .
مت لدقيقة . تبقت ان كل شيء قد انتهى .

لم اطرق الباب . يلفنى صراخ ابنتى . فتحت بسرعة واندفعت
تجاه الصوت . الفيت ديننا الصغيرة غارقة فى دموعها .. ابن الدم
اخفى فجأة .

— ابن ماما ؟

عدت اهزها فى اضطراب .

— ابن ماما ؟

كففت عن اليكاء ولم ترد . زادت جهرى . اوشك عقلت ان يطير
شغلايا . عدت الى الدم . سرت فى اعقابه . تصورته خطا دمويا الى
الأبد . نقط حمراء ممتدة الى نهاية العمر . لها أسنان تنهش .

انتهى طابور الدم عند المطبخ ، دون بحيرة ودون منطقة تجمع
واسعة . انتهى فى صمت وبلا نتيجة محددة . كدت اجن .

بعد التزام الصمت والسكون محاولا التفكير بلا جدوى .. اخذت
اقفز فى الشقة كالمذبح - ادفع الابواب وارتمى تحت السرير وتحت
المقاعد . افتح الدواليب واحديق .. لم يعد لى رأس بفكر . لم تعد لى
عينان لأرى .

اسرعت اهبط الدرجات . انعطفت الى الباب . دفعت بابه .
نهض من فراشه وثأب .

— أين الاولاد ؟

— اولادك ؟

— نعم .. أين ذهبوا .

— وكيف اعرف ؟

صعدت السلم فى قفزين الى الشقة المقابلة .. بعنف وغيظ
طرقت الباب .

— أين الاولاد ؟

العصفور والريح



– اليوا بالشفقة ؟

هبطت السلم لى قفزتين ، فوجئت بزوجتى تجتاز باب العمارة .
تحمل ابنتى الكبيرة نهى ، ويدها بالشاش مربوطة . توقفت .
تنهدت . جلست على السلم .
قالت : أمسكت الصغيرة السكين ، حاولت الكبيرة ان ..

المصنوع والريح

طالرا كان .. صغيراً وجميلاً .
مضى يبذل الجهد كي يستنقذ من الريح بعض القش .
وكلما جمع فتحة اختطفها الريح وتولت بعيداً عنه .
يسرع الطائر في اثرها .. يضرب بجناحيه .. يضرب ويضرب ،
حماس دون أن يحقق أى نصر أو بمسك بقشة .
طال سعى الطائر والريح لا تهمد .
كلما جمع فتحة اختطفها الريح .
بدا التعب ينهش فيه والانتفاش تتراجع رويداً رويداً .
والخطوات بدت ثقيلة ، وشرعت حركته فى الخفوت .
وأخيراً ..
سقط الطائر .. صغيراً وجميلاً كان .

تعنيت قدحاً من الشاي وأنا منجذب الى إحدى سونانات البيانو
لبيتوفن .
الانغام تترى فى أيقاعات سريعة مضطربة كاهتزاز الرعد .
تدفق اللحن بلا رتابة .
تعنيت قدحاً ساخنًا من الشاي .. هممت أن انهض .. أقعدنى
البرد ولزمت الفراش .
تدنرت ، لسكنى مع اللحن العذب نسيت البرد . تغلفلت الانغام فى
جسدى . تسربت كالدخان . كالاطمئنان . كالحب .
تغلفلت فيها . تلاحشت . التحدث .
رايت على الجدار صورة الطائر المناضل .
صغيراً وجميلاً كان .

الإيقاع الموسيقى يرسم بكل نغمة جزءاً من ملامح الطائر الصغير
اجنحته المتوترة . متقاسره النشيط . دوامات الريح . الانفاس
المضطربة .

لماذا تمدد الطائر هكذا وفتت .
صغيراً وجيلاً كان .

دقات واحدة تسلسل من خلف البعد ، من وراء القدرة البشرية
على الانصات ، تشير الى انفاس الطائر ونفث قلبه .
اذن فما زال حياً .. فرحت وكأنى انا الذى عدت الى الحياة ..
فلا ادرى كيف بدا لى كانه انا .. وكأنى هو ..
بالامل انتظرت ان يهم الطائر من مرقده . ان يرفع راسه . ان
يهر جناحيه . ان يصرخ . ان يقول شيئاً اى شيء .. او حتى ..
حتى يموت .

ولكن الانفاس ظلت بين يمين .. تهمس وتعترف بالمعجز ،
وتتمسك فى الوقت ذاته بالخيط الدنيوى العجيب ، وكأنها تقول لا بد
من الحياة .
متحفزاً بقيت ارقب حالته .

تعالت الانغام رويداً رويداً ، يعنى استمع اليها . نهض الطائر
بمعنى اراه على الجدار ، تحمله الانغام المتصاعدة . ثابتاً وقف على
قدميه . تعالى النظم فى نقر سريع . فجأة انقض الطائر على القش
بجناحيه وقدميه ومنقاره .. بكل شيء . انقض قبل ان تفيق
الريح .

تقدمت منه الريح لزوم وتعوى . الى الفضاء سعد الطائر من بين
يديها . انطلق الى عشه الجديد .

ما زال النظم يرسم الصورة بعنكة واتقان . وضع الطائر لى عشه
الحمولة وآب .. هذا اللحن .

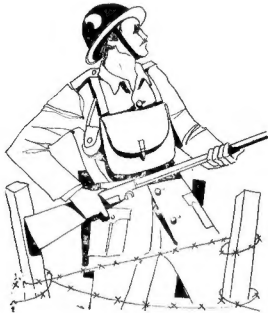
تعلق الطائر بفصن شجرة ، يرقب الريح الحائرة . حشد عزمه
وصلب مودته وزكى حماسه ، واندفع يجمع القش .

مع كل قشة ينفعل النغم ويبتور ، ترددات الهجمات وتعلو النقرات
وتقوى ارادته . ينقض وينقض ، يجمع ويجمع والريح تدور حوله
متعثرة .

وحين امتلأ بالقش فمه ، صعد الى الفضاء وانطلق الى العش .
فى رقة ووقع حنون بدأ يبني على الجدار عشه وبسويه ، اسمعه
بالذنى يبني وبسوى . يجرب فى العش صدره وبقيه على جناحيه .
يقف فيه لم ينام ، ييسط رقبتيه الى اقصى مداها . هل لمة خطر ؟ ..
هل يمكن لى عشه الجديد ان يكون فريسة ..

نهض . مسح الاغصان والفضاء بنظراته من اسفله ومن اعلاه ..
كل شيء تمام .. حظ الطائر ونام . وسكنت اصابع يمينه فنفث فوق
المقاييع .

لحظات قبل ركوب الحصان



لحظات قبل ركوب الحصان

فرقا ترعد المياه الملوثة . تنكسر ألوانها المتعددة تحت وهج الشمس . تسمرت الحبال تحدى .
المبور خنادق . المحاجر فاصت في الرؤوس . النظرات تراجمت
لتنطلق . تطوف بالساحة العريضة . ثرقت وثرقت .
تثلج الهواء . لا شهيق . لا زفير .
تفرقت المسامات بين الأشياء وتلاشت . تعربت الإحسام إلى
الإحسام . تلاقت في التحام .
مرور الوقت غدت أجساما مادية كل الأصوات . أحجارا . .
رصاصة لا تعرف انه أطلق الا اذا قبل .
دوى . أنواع مختلفة من الدوى ، وجميعها لها لون واحد . لون
الخطر والرمب . لها هدف واحد . الموت والدمار والسحق .
قسموا وحدات البلدور إلى مجموعات . على كل مجموعة أن
تعبر الفناء بالإنهاء الثقيلة . تفتحهم السد الزملى . تشق صدر
الموت .

ثلاثة كنا وضابط . أنا أصغر الجنود سنا وأحدثهم عهدا .
في قلب الشمس تماما وقفنا نرقب دورا لمبور . دورنا مازال
في نطن الزمان . الزمان تكسر وتفتت ، ثم تصال وتجر . شعرنا
أنا سهبط من طائرة بلا مظلة . لم يبق الا تحديث الموقع .
تحول الزمان هذه التحطية إلى مكان . . انتهى التركيز على
المكان . عيوننا وقنوبنا مملقة بالصفة الأخرى من القنابة . وبذلك
المرتبع بالتحديث . أنا نفسي كنت أرنو لأول مكعب رملى ساكتسبحه
باللدوزر . هذا هو الزمان .
أما المكان فقد تحول إلى زمان . كل شيء محسوس وملغوس

اصبح لحظة . انا أصبحت لحظة . تك وانتهى . مجرد تك . ادنى وحدة من وحدات الزمن أيا كان اسمها .

حين تحولت الى لحظة فعدت ذاكرتى . ثلاثت من رأسى كل المعلومات . اى معلومات . لا اعرف شيئا عن اسمى . اسم عائلتى . ربنا الصغيرة . ايام الطولة والدراسة . اصدقائى . حنان امى . انشأتى المفصلة . نصبى من تركه عمى . كل شيء صاع تماما وصعب .

تحولت الى لحظة . فقدت ذاتى ومعالى وأصبحت زما ما . . يوما او سه . دقيقه . نأبة لا ادرى . يحدد ذلك خروج الرصاصة . اصحبا كلنسا نمثل الزمن المتحسد فى الأشياء . التمثل فى المبكر . الزمن مفروش فى هذه القعة من العالم .

كل من تحمله قدماء الى هذه القعة ، يصح شيئا آخر غير الانسان . يدك حيدا وبغرم ويصمط ونكس ويسحق ونفسدو لحظة .

وعنت لى فالفيت اى مشيت بالمدفع الرشاش بيدى . ساند وعى لا وعى . تطاف . انعما . توحدت . اصحت كلا واحدا وكبت اخراء مسائرة . راد شمشى بالمدفع . التلحمت بالحديد انه اسدى الاصدقاء فى هذه اللحظة .

سمعت هاتفا ما من داخلى . من جارحى . لا ادرى يقول الموت هنا هو الشيء الوحيد الذى يجب ان تثق به ونوش بحقيقته .

سرت افكارى الحدود والعاة الى العدو المسمد هناك . . هناك العيون خنادق وانظرات تراجمت لتنتطق . تثلج الهواء . لا شهيى لا لفسر . تفرغت المساعات عدهم بين الأشياء .

فى قلب الشمس تماما وقف كل منهم ينتظر دورة للصور . . الزمن تكسر وتفتت . تحول الى مكان . منتهى التركيز على المكان .

اما المكان فقد تحول الى زمان . كل شيء محسوس صدهم اصبح لحظة . تك وينتهى كل شيء . الحدى العدو هناك فى الحساب الآخر تحول الى لحظة . مجرد تك وتحديف كل علامات وجوده .

اصحبا كلنسا . نحن والاعداء . محددين متباينين مسبحين متشابهين فى كل شيء . الزمن المتجسد فى الأشياء .

قللى يدنى بعنف . الاسنان تطحن بعصها . الشفاء لم تعد صعاها حلدية للعم . لكننا بالمفاض الغولاذية اشبه . او فوعة بركن ما زال سعت من حوفة الحميم .

اصدر الضابط امره الى داود ، وهما اقدمنا كى يتقدم . انفض داود على الآلة كى يتقدم . صرخ السولار فى بطن الحديد المتحضر . وكان الصابط اصدر امره الى الآلة انضا .

بدا داود فارسا فوق حصانه . شامحا . محتاجا . عبر القاعة . قرر ان يكسح العن التراكم فى احصا سينا والسين . اعد المبكى . الآلة سكين صحم كمفصلة أسطورية .

تقدم داود . شق السد الرملى . تقدم داود . تفهقرت الرمال . ارتفعت . دنا من آخر السد الفليف .

بحاه . تطارت الآلة فى القعاء شطابا ، وتعنرت العنات من لحم الحصان ، والعارض ايضا . . فتات .

خلعت فوقهما حالة فائمة من الهمب والدحاح كأنهما من نحات الحجر عليه نحت .

احس الصابط راسه واجبتها . تهذا . اترع الاسى من كمحه كل شيء . انحطت قنونا . انصبت عليها المصيبة مدكتها فى الصدور . اتصت المشاعر فى كيثونى كالأشواك . كاثراج . . اللوة الفصب . الكرامة . الشرف . الثار . الدم .

بصا حثث الغلور المظلمة . تخصصا من عبودية الآله . قعر الصابط عاليا . وبكل ما يمت من عصب . اصدر الى الحدى الثانى يوسف امره كى يمر . كانه القسائد فى فرقة موسيقية ، مندبة تماما فى ابدعات اللحن الصيب .

برحم ارتفاع الآلة ودون ان يستند اليها ، كان يوسف فوقها فى قفزة واحدة .

ادار المحرك وهم بالانطلاق ، ثم لاد بالصمت لحظات .

هذه البعثة العاصرة . بدأ عمله غير مسجّم مع الأحداث .
واشتهاء نزع . ثم صبح كلفه عمر مسمومة ، ثم هبط . . عث
الشك بالصدور .

أخرج من صدره بطاقة بها عده صور لأولاده ورسالة وسلسلة
ذهبية ، سلمها لعضل .
أنحرت باكيا .

في هذه اللحظة التي يعيشها ، وفيها ، وبحر له اعمق
احباط . في هذه اللحظة التي سيث فيها اصف ، فتوف
نصف . في هذه اللحظة التي يرحف فيها المذاع فوق رمال القه . .
يكث .

انكي يوسف ذو اللبل الطويل من الأسماء والتحم والدم والحب
والحنان الساذجة . ربما هناك مئة شخص يسفرون . وقبلهم
حييفا عيلة الصغير الذي يرقب أباه وهو عائذ اليه بفارس مهيب ،
على حصان من الحلوى أو حصان من حشب . . لمة لمة العادم .
يكث .

أسرعت الى العضل . رجوه ان يجعل دوري قبل يوسف .
رفض . صرح يوسف .

- لا . لست حيا . هذا وطني وهذه ارضي وذلك ثاري .
وفئات الحسد الملقى هناك الآن ، حبرا محويا يسفري .
وداود يعرف اني ان العادم لا نعل هذا . . راسي لي يدي في
الثراب انما . اما ان أموت حتى لو عدت بدوي .
يكث .

عصرت الحصى وصرحت .

- أرحوك . سوف أقتل نفسي ان لم اعمل أرحوك يا حضرة
العضل . أرحو يا أماسي يوسف .

رفض العضل ورفض يوسف .

هويب على يدي يوسف اليها . وجسدي المحموم مهتاجا بهر .
- الموت أرجم منكم فارحموني . أرحموني .

اخيرا واقع العضل يعرف . واقع فطرت .
احتقن السماء ، وأدوس حصالي الحديدى العملاق ، فيمحر
ويرعد ويتفتح صدرى وأنا أخير القاة . أمق السد الرمل .
أشقي من طريفا فيجا نقول الذباب .
رعت السكين . رعته في الرمال . رعت جبلا من الرص .
حملته والقيته بعدا ، رعت مرة ومرة . صدر لعضلي حسدا
كبيرا ، تمدد فيه وسكن .
لعب مدي ومدي . اكسب اني لم عد وحيدا .
الآل والذباب سبع الارض في بحر ولهم . وراءها وأمامها
وقلها الحدود . يشوق محبون يحوصون بعيدا في الصحراء ، وترهر
مواضع الإقدام .

السقف



السقف

- ١ -

صحوت من نومي مذمورا على صوت ارتطام شديد .
اصغت السمع مفتوح العينين ، فلم يلعنى غير صدى الصمت
المكثور .

نهضت بجزى العلوى ، ونهضت زوجتى .
معيينا نحلق فى الظلام بعيون فرقة . نسال العتمة ، ونعش
فى اثاث حجرة النوم من سر هذا الدوى الهائل .. وقد كان هائلا
بالفعل حين سك سمي وأنا فى أعماق النوم ، حسدى
مكدود . ملتصق بالسرير ، وحوى متشبثة بحفوى .
من خلال زجاج الباب ، تسرب الى عيى بصيص من نور المطبخ ،
وحريص أنا على أن يقى مصاحبه الكليل مصاه طيلة الليل ، يؤس
وحشة من يستيقظ من اولادى الثلاثة ليتضى حاجته لرى الظما أو
للتبول .

مددت يدى وصعقت رد الصباح المجاور لى ، وأول ما فكرت
فيه هو ابتنى الصغيرة نوسة التى تعدت العامين بشهور ، بحثت
عنها فى سريرها الصغير وهو معنا فى نفس الحجرة ، القتها فيه
ولكنها دارت ودارت ، حتى أصبح راسها فى موضع قديمها .

حملت فى الغرفة وحملت زوجتى ، لنطمئن على أن كل شيء فى
مكانه ، وبى مقدمة ما خطر ببالنا كسب لهذا الصحيح . ان كرسيا
مال ووقع ، أو ربما هى القطة التى هودتنا على الزيارة كل ليلة ..
لعلها تقفز فوق المشدة ماوقست الكوب أو أصعب الزهور . شيء ما
من هذا القيل .

ولكن احدا ما لا يستطيع أن يكر انه فكر - بفريرة الحوف

الكامة - ان باليت لصا .. وان هذه الصخرة سبها تشر اللص في كرسى او مصدة صغيرة أثناء سعيه الخبيث في جمع ما تقع عليه عيانه .

حام هذا الحائط بحماس في ذهبي انا على الاقل ، لان وجود اللص في بيتنا ممانه ان التحرك ، واعمل شسيتا ايجابيا يصير من شجاعتي من ناحية ويتعد انداز مما يحق بها من ناحية اخرى .. وليس من المفول ان اسمع كل هذه البرفقة التي اعلن بها هذا اللص العائب من نفسه ، واظن انا قاسما في السرير ، احملي في الحجرة واحمن .

لكن روحتي حادة البصر قالت في فزع وحدة : انظر .. ان زجاج الباب مكسور .

وجهت بصري الى حيث وجهت بصرها .. الى زجاج الباب .. انه بالفعل مكسور .. اذن فقد ان اوان العمل ودقت ساعه المحاطرة .

برلت من السرير .. اسرعت انظر الى الزدعه من خلال الفتحة مستمعا بسور الطبخ .. امتصت عن سبب كسر الزجاج .. واود لو اتعرف عى العاني قبل ان يقلت .

لم الحظ ما يشير العاني ، اطلقت يدي على مفص اليسار ، وحذنته لاحرج واظمت عى باب الشقة والمتاعد .

تولسى الدهشة فلم يفتح باب غرفة اليوم حين حذنته .. صاحبت المفص وحذنته من حديد ، فلم يطاوعني ، وبقي الباب الخشبي مكانه ، مسحت الباب بنظراتي من اسفله الى اعلاه .. الباب له مقبض عبط دون فعل .. فلم لا يفتح !!

هاودت الحذب بشدة ، لاحظت تشبث الباب بالارض ، احدثني الدهشة ، كان الباب يطو الارض بفارق كبير لا يقل عن سنتيمترين ، ولطالما عبرت من تحته الفئران .. وقعد كسلى عن الاستعانة لدعوة روحتي باستكمالها بشريحة من الحشيب .

اختتمت هذه الفرحة حتى غدت التحاما كاملا بالارض . هاودت

لجذب فاذا الباب مقيد تماما بالسعف ايضا ، وكان بينهما فارق يسير ، فابن ذهبت هذه العروق ؟

بدا الباب كانه يود مطاوعني من اوسطه ، ولكن طرفيه العلوي والسفلي بابين الاستجابة ويصران على التمسك بالارض والسقف . كانت زوجتي طوال محاولاتي الخروج من الباب والتخلص من خيوط الدهشة التي بعثرت فيها ، تواصل حديثها ، وتذهب ظنوها مداهب شتى .. ولم يكن سمعي كله لها ، لان حواسي كانت معى في مصرعه الباب ، ولا اكاد اذكر من كلماتها الا قولتها العلمية الشهيرة .

- لا تس ان الحشيب يتعدد بالرودة .

نقصد انه متعدد نالاه . او بالتحديد الواضح نقصد ان الحشيب يتنشق في الشتاء ، فيبحث بالارض على هذا النحو .. ولم اعترض على كلامها على الرغم من اننا كنا في شهر مايو .

ظل سيل كلماتها يواصل الانهمار وانا احاول سمها .. لاي كنت في عالم غير عالمها .. فهي الآن تبحث عن الاسباب من وجهة نظرية بحث . لكن المسألة تحتاج الى تركيز عملي .

اريد ان اعرف من الذي حاول سرقتنا وماذا سرق ، ولماذا افلق علينا الباب على هذا الحر الضيق ، ولم ينفذنا الا صراح انزجاج المتعسر .

وتذكرت الاولاد وتساءلت .. الهم علاقة بالموضوع .. لا افصد طمعا ان يكونوا هم الذين اوعسوا الباب ، ولكن اقصد هل السارق او المتهم دارنا حاول ايداء احد من الولدين مجدى او جمال اللذين سامان في الحجرة الداحية .. فافلق عليها حتى لا يحول بيه وبين ما يريد .

لم يطل حل تفكيري ، ولكن حماسي اشتد لاجل فجلبت الباب بشدة ، ففرز طرفيه من خلفه العلوي ، احدث لاجذه عدة سستيمترات تتلوها مدة سستيمترات حتى فتحته الى آخره ، وفوجئت بالزجاج المتناثر داخل وخارج الغرفة ، وبدت الشقة كالها مقهى شهد معركة

ساخته بين مجموعة من الحاسرين على مصدة العمار .. مع ان المساحة التي يشعلها الرجاج في الباب ليست الا « شراطة » مربعة لتوصيل النور من والى العرفة لا يزيد طول ضلعها عن نصف المتر ينقسمها قصيب خشبي .

اسرعت الى غرفة نوم محدي وجمال .. وجدتهما نضري ، عدت الى باب الشقة وذريحتي في الرى ، تساندني في مواجهة النعى المحتل .

البيت باب الشقة مدقوقا في مكانه ، يردى واحه الللى بامانة ، لم يتعرض له احد بالعقدان ، وكل من الراج الصمير والمراج الكبير في حنقه ، والمساحة الزجاجية الصغيرة سابعة والشكة الحديدية من ضلعها كما هي .

الحمام والطبخ .. كل الابواب والوحدات سليمة .. شيء غريب . جلست على كرسى الردهة ، انامل الموقف واربه ، احسه .

اجتمعوا والطرحه ، اعود فأصره واسمه ، وأنا بعد كل هذه العمليات التي يذهب بعضها في محال الهندسة ، وبعضها الآخر ظنون في الطبيعة ، وبعضها الآخر في الالهيات .. لا احمق اى نتيجة لان فكرى ظل مقيدا بحدود الدهشة والتعجب والاستمرار .. وكانت كلمات زوجتي وانكارها تتوالى بشكل متواصل راد ارتناكى واقعد فكرى .

— من الممكن يا ابو محدي ان يكون كذا .. ويمكن ان يكون كيت .. او يحوز يا ابو محدي ان يكون .. لا نستبعد يا ابو محدي ان السبب هو ... ولماذا لا يكون كذا .. لان السيدة ام احمد ساكنة الدور الثانى في العمارة الجاورة قالت لى مرة .

ولم استطيع ان امسك بالعبط المغول الذى يوصلنى الى سبب ما حدث .. صرخت فيها من غضبى : يا ستي اهداى .. اهداى قللا ..

انكمت واشعلت سيجارة .. وتساعد احساسى بحرارة الشقة وشعرت اى داخل عنة محكمة الاعلاق .

في ظل سكوت زوجتي ومع دخان السيجارة هدأت اعصابى ، ولما اطفأتها قلت لها : على اى حال حصل خير .. هيا ننام والصباح رباح .

وقبل ان نهض .. نعم .. قبل ان احملي نفسى حملا من الكرسي ، دوى لى سكوت الليل انعجار وارتظام .

الثوب رقائبا مع الصوت ، وتنه ومينا ، واقفنا من الدهشة والفرح ، فاذا اذاننا موجهة الى المطبخ دون ان ندرى .

اسرعا ، فاذا زجاج نافذة المطبخ قد تحطم .. وبدأت فجوة الطلام غير منتظمة الحدود .. والزجاج في الارض وعلى السلاجة وفى النحوس وبين الاواني .

لقد تعجر الرجاج وحس ابقاظ ، ولم نحد لصا ولا حبرا ، ولم تمر دقيقة حتى صك اسماعنا ارتظام ، وكان لباب غرفة الاولاد .. وفزع حمال وطمعنى اصداء جهوده فى فتح الباب ، عذبت اليه وعادونه حتى خرج .

قال : ماذا هالك يا ابى ؟ هل بدأت الحرب ؟ فنت له وربما لم اكن انا الذى قلت ، لانى لم اكن فى كامل وعيى .

— ربما يا ولدى .

لوات الانفعارات والارتظامات .. واستيقظ محدي ولم تستيقظ نوسة ، ربما لعاجتها للوم بعد شقاوة النهار كله .

تورسا فى الردهة الزجاجية ، ينظر كل منا تلاحر لم يربو لاشيء ، ولا ينطق بحرف بعد السؤال الاول .

— ماذا جرى ؟

وانضى ما يمكن قوله ردا عليه : لا نعرف يا بنى .. كما ترى .. لا حرب هناك ولا غارات .. لا لصوص .. ولا مشاجرات .. لا يوجد بالشارع اطفال ليلدون البيوت بالطوب .

وبحن فى الليل حيث لا يتعرض الرجاج للشمس مقول : اصابه سرطان ..

ومن العرب ايضا انما لم تكن لنسطق بأى كلمة ، لان هذا السلوك الغاضب من جانب الابواب والوحدات كان متصلا ومتناسعا ، كانها شخصيات تؤدي ادوارها بحماس فى مسرحية تقرر ان يكون عرضها فى بيتنا .

باب المطبخ ، تنوء نافذة الحمام ، بهدهما باب الشرفة ، لم نأخذ عرفة محدى وجمال ..

امكنى بعد فترة ان ادرك ان هناك ضغطا ما على الحدران لا ادرى سبه ، ولا الابواب من الحشب والزجاج اى انها اضعف ما فى الحدران تنوء بالثقل لتتخطم .

.. لذلك اسرع بخلع ما لم ينهشم .

خلعت انا باب عرفة الطعام .. فى نفس الوقت خلع محدى وهو شاب كامل الرحولة والصح نافذة عرفة الطلوس ، وخلعت زوجتى مساعدة جمال باب الحمام . وهكذا تعاون الكل ، فخلعنا باندنا كل مساعد الدحول والخروج فى بيتنا العريض .

ورغم قيامنا بهذا الجهد الا ان الانحاراث كانت تسفنا لتخطم الرياح اولا .. وتتوالى بعد ذلك فرقعتها كمجموعة من القشائل الرمية التى يشمها الاعداء بحيث لا تنفجر كلها فى وقت واحد ولكن فى اوقات متتامة .. دقيقة بعد دقيقة .

تحولت الدار كلها الى دهشة وفزع وخوف وعصر .. وانا من الحيرة جلست ادخن وادخن . وارنو ناسى للابواب التى تحطمت .. وصعوبة شديدة امكن فى الله واتمك بأحاله المدلاة من السماء .. عليها تشدنا وتعدنا من هذه الهوة .

وبعد ان شعست كل الابواب تفجيرا وتكسيرا ، وحسنت الحسة ، فوجدت ان الكل تقريبا قد مر من رايه وشموه فى الصيق الذى يحيط به والشفط الذى يقع عليه ، هذات الساحة وحيم صحت حزين ، وساد سكون مهسدد ، فامرت زوجتى والولدين بالذهاب للوم .

اصرت زوجتى على ان اسبقها الى الفراش ، والحت ، فسفقتها

اليه .. لكنها اسرعت قلى الى الوم .. اما انا بعد طلع على اسهر وقدلت من حولى خيوط الصباح وانا جالس فى الشرفة اربو لوجود فى امل ، اشسكو نعاذ سجانرى حتى انى كنت ازغر انسى بلا دخان .

امامى الليل العريض ، يتدفق فيه الماء ، وعلى حانبه تمتد الحصرة بلا نهاية والصود يتعطر فى كل الهيون .

تركت الشرفة الطسلة على حديقتى والنيل . وذهبت لعرفنى الحلعية المظلة على العمران .. الدبار والشوارع والناس والسيارات وندامات الباعة .. تمر بطرى بكل بيت .. تعشش أبوايه ورجاجه .. تحوم حوله ، كل البيوت هاذلة مستسلمة ، وكل الواعد والابواب معلقة وسليمة ، والزجاج فى مكانه يحلب لاهله بمصا من أشعة الشمس المشرقة ..

وكت اسائل نفسى .. لماذا بينى انا لا .. لماذا بينى انا لا

لما استيعطت روحنى . ظلت معها الا يعترب الاولاد من الزواج الحظ والحسب المهتم . . وكانى وكيل نيابة يرجو عدم المساس بالحقة ومكان الحادث والاشياء حتى يحضر حير الصمات . . لم افكر فى شئ على الاطلاق . . فما حدث قد حدث وامرى الى الله . .

للمت نفسى على اى صورة او كما اتفق . . وذهبت الى العمل . . اسعدت الشعر ، اصفر الوجه ، بلا رطة عتق . . على عكس ما عرف عى وعن هندامى ، تلفاتى الطريق مصعب حطوائى ومعرها فى كل اتجاه .

ولم يكن دهانى للعمل عن رغبة فى العمل خفيفة ، ولا محاولة للهروب من مواجهة المشكلة ، لكنه على العكس كان بحثا عن السبب وعن الحار .

اعتدت ، المشاور انا وزملائى بالكتب ، يعرض كل ما ما يحس به ، معها تلفت مشكلته من الخصوصية جدا بعيدا .

اشاروا على بعد العجب وعدم التصديق بان اسأل احد المهندسين المعماريين ، فلهذه بالطبع اجابة او تفسير لهذه الظاهرة ، او على الاقل راي فيها . . وبذلت لى ولهم سداحتى حين سالتهم عن المهندسين ، اذا كان من الممكن ان اسأل منهم فى دليل التليفون . قالوا جميعا فى بساطة : فى الإدارة الهندسية . . بمجلس المدينة .

واحد من المحكىين بالمشاكل ، المزمين بصفحات الحوادث بالجرالد اليومية والاسبوعية ، اشار على ابلاغ البوليس من باب الاحتياط ، ولما بصيرنا ان يحوروا محصرنا بالواقعة ، نحفظ به ايه حقوق مستقلة .

بعد الحاج طويل وسحيف وافتهم انهاء المناقشة فقط ، وليس اقتناعا بان الامر يحتاج للشرطة . . فقد تيمت تماما بان المسألة تخص منزلنا كبنا ، وليست هناك اى احداث حائية او امتدادات خارجية او حريق ، ولم تحدث سرقة ولا توجد هناك تهمة من اى نوع . لذلك يمت وحى شطر مجلس المدينة .

احتزت الباب الضخم . واجهتنى ابواب زجاجية كثيرة ، بل وجدان كاملة من الزجاج . وبين الابواب والجدران ، تجلس وتنحرك مجموعات نطية من الموظفين ، يصدر منهم نطن عال . اشعقت عليهم من هذه الابواب فى حالة حدوث ضغط عليها . . سببىب مربع الزجاج الواحد عشرات .

نمل . . نمل . . نمل . نمل يعمل كل شئ واى شئ ، يرسم ويطبخ ، يعمل ويأكل ، يكتب ويتعرج ، يدخ ويصحك ، سكى وييام ، يتسلى بالنمل والكلمات المتعاطفة وغير المتعاطفة .

سألت عن الإدارة الهندسية . . دلونى عليها . . حسن حظى اوتفى فى مهندس سيب . اخرته بما حدث . . احسن تعراة قصنى . . اهال عليها اسممه . . حفت قلنى وشاركنى به . . قرر ان يتسلى . اوصانى ان اقدم طلبا وادكر فيه ما حدث .

كنت . . اخذ الطلب وعرضه على وكيل الادارة هامسا بتوصياته وما يتعين عمله . . حصل على تأشيرة بخروج مهندس معى للمعاينة ، سعد الى مدير الادارة . . عاد بتوقيعه الى وكيل الادارة لتعديده المهندس . . فوضه الوكيل . . حرجت انا والمهندس . .

شكرت الله ، الذى لم يرد لى عذاما ورتينيا كان متوقعا ان يكون اقصى من العذاب العقلى ، المتخيل فى مشكلة الامحارات . . بلفس الدار .

جدرية بان يشعل بها المرء ، حتى لو كان من غير ساكني البيت ، وفي مجال غير مجال الهندسة والبناء .

وبالنسبة له فينتعين عليه أولا ان يطلع على تصميم المنطقة وسيتحتاج الامر لمعاودة الزيارة مرتين او ثلاثة ، ولابد من اخذ رأى اكثر من جهة مسئولة ومختصة ، وبمدها يضع تقريره الذي لن يرى البور قبل مضي اسبوع .

بعد ذهاب المهندس : جلسا يفكر جميعا في مسألة المصاعد المفتوحة وكيف سيدها ، ولو مؤقتا الى حين معرفة السبب . واتفقا على تطبيق البطاطين القديمة على انواعها الحاراجية ، ودفعها بالسامير حتى تصمد للريح ، والحصد له ان الصيف هي الابواب ولن تحتاج الى اعطية كثيرة .

رأى المهندس مرتين وقد سبق له ان نها الى ذلك ، واطلع على العلامات الركية الى وضعها على الحدران في كل سنتيمتر ، وحاولت ان استمر من الطاهرة ، فلم يحس الا انها ما زالت محرومة تحميمات وفروض تمورها الاساس .

توجه بعد اسبوع الى مجلس المدينة والتفت بالمهندس ، عرض على مودة التقرير الذي سرفعه الى وكيل ومدر الإدارة .

وأوضح المهندس في تقريره انه نهاء على المدركة المصدمة من المواطنين .. بشأن .. وناء على تكليف سيادتكم لى بكدا .. فيه في يوم .. سة .. قمت بالانتقال الى اسكن الكائن في .. ملك المواطنين السابق ذكره .. وسعانيته تبين ما بى الى ان قال :

ولا مله في رأينا لهذه الظاهرة الا ان يكون قد حدث تسرب لمياه جوفية تحت المبنى ، ادت الى رطوبة في الاساسيات وتحلل في موادها الصلبة ، ونظرا لان السقف من كمر الحديد الصخيم بما يمثل تولا غير عادي . ولان الجدران من الحجر الحرايشي الصلب حاشي الحجر ، فقد هيئت الحدران التي تحمل السقف . لتقليل ، واصبحت تعوض بشكل يكاد يكون منتظما ، اذ بالمصاينة تبين ان السقف

داري موقعها جميل ، يراها الناس عابرة في الجمال .. يحسدوني عليها .. الواحة عريضة تطل على النيل مباشرة .. مساحتها كبيرة نسبيا .. تفصلها عن النيل حديقة حصة ترهو بخضرتها وربيعها الدائم .. تنمو فيها كل الدور وتثمر فيها كل الاشجار ، اما الدخول الى البيت فمن الحلف من طريق ممر ضيق يفضي الى الحديقة ، التي يحيط بها سور حديدي بسيط . تلى ذلك مصع درجات الى باب البيت ، المرتفع عن كل النبوت المحاورة كانه فوق روبة .. يتكون من طابق واحد ، ولكن الواخف في شرفة المطح الخلفية او الذي يطل في نافذة حجرية مجعدى ، او من حجرية المسافرين الداخلية الشائرة دائما ، او من مسقط البور الحرى نواجه الدور الثاني للمعارات المحاورة ، والمدينة كلها تغيم خلف دارنا .

طاف المهندس الطيب بالبيت العتيق .. اعجب بسيفه واركانه وانساعه ، مصافه وشبهه وهوائه ، سنائه المنير ، جدرانه السمكة الصلدة رغم قدمها ، بدرجات السلم الرحامية المعصية الى النيل وتتحلها العروق الصفراء .. الالامعة كحلوز الدهب ، وعمودى المرمر في بداية الردهة والثريات الفضة .

اعجب المهندس بالسقف الحديدي ، بالارض النابتة ، بالبالاط الذي لم يحدد مشرات السنين ، دون أن يتكسر من طول الاستعمال او يهبط في اى موضع .

فحص المهندس كل ثقب في البيت ، واطلع على خريطة المبنى واوراقه وكلها مسجلة وموثقة ، رغم انه بنى في وقت لم يكن فيه توثيق ولا تسجيل . كانت مثل هذه الامور لا تزال مجهولة من الوجهة الرسمية ، وكانت عمليات البناء تتم عشوائية وبلا تحيط لكنا كنا نعرف ما يجب عمله .. اقصد طمعا اجدادى .

فاس المهندس المسافة بين الارض والسقف في اكثر من عشرة موضع ، ووضع علامات ستيمترية لمسافة نصف متر في اربعة اركان في اسفل الجدران . بحيث تبدأ من اسفل مدرجة الى اعلى . اخرى المهندس وهو يروح الدار ، انها بالفعل ظاهرة لمرية ،

بسط ، داعما الجدران من تحته للعوض في الأرض المشبعة بالماء
معدل شبه ثابت ، وهو نصف ستيمتر كل أربع وعشرين ساعة ،
وقد أمكس تحديد نسبة الهبوط بالاستعانة بالعلامات السنيمترية،
المندرجة على الجدران في مواضع مختلفة ، وقد أوضحت جميعا
هذا الهبوط المتبادل في كل المواضع .

وأذا استمر ضغط السقف على الجدران ، وهبوطها بهذه
النسبة التي انتظمت لأكثر من ثلاثة أسابيع ، فإنا نرى إخلاء المنزل
من ساكنيه في موعده اقضاء سنة من تاريخه . وذلك لأن ارتفاع
الجدران أربعة أمتار ، وبعد عام لن يتبقى لهم غير مترين وسوف
يتعدى معها الحياة بالمنزل .

هذا وقد اطلعا هنيء .. وهنيء ..
وإذا نرفع هذا لكم آمليين الأمر بالتحاليل اللازم .
نرجو أن تعصلوا بقول خالص الاحترام ...

مهندس /

انضم اليها مهندس المسكن ، يستمعون ويدهشون ، وينظرون
الي ، كاتي شخص حكم عليه بالاعدام بلا ديب ، شخص ستحق كل
عطف البشر واشعاع كافة مخلوقات الله حتى طوب الارض .
قلب لاهر من نظراتهم وادمع أذهانهم للعمل ، للبحث عن وسيلة
لإبعاد الموتى :

- والجل يا باشمهندس
- تتركون البيت
- ماذا !!

- أليس غير صانع وحظر
- ودورك ؟
- أطينا مسؤوليتنا
- ألا يوجد حل آخر ؟

- الحل الوحيد مقادرة البيت

مشيت أجرة قدمي .. تموي الظلمات بأسماء وروحي .. أدن فلانيد

إن نرحل ، نرحل عن بيت آمانا وأجدادنا ، أصبحت الحياة في منزلنا
مستحيلة ، وأمامنا فرصة لا نريد من عام ، بعدها نكون في
الشارع ، مالي ابن نرحل ؟ أين هي الشقة التي سنسكن فيها ؟
أحمد جازنا بحث لاسته عن شقة لتتزوج معها منذ ثلاث
سنوات دون جدوى . وثريا بيت الأستاذ شفيق اضطرت بعد
سنتين وأكثر أن تتزوج في بيت أبيها .. و .. و ...

أين أذهب ؟ ولماذا أنا بالذات أذهب .. ودارنا لم تزل وطيدة
الأركان متينة الشبان .. وما هي حكاية هذا الماء ؟
من أين جاء .. ولماذا لم يصب به غيري ، وكيف يأتي في
على ربوة ؟ .. ما هذه الأوضاع المقلوبة ؟

داري . معري . تاريخي . المي . مريحي . أولادي . صواني .
داري التي تعرفني الناس بها وعرفونها بي .

هل جاء وقت يتعين فيه علي أن أرحلها ؟ واتحلى من حديثتها
المهجرة وبيلها الصافي الرقراق .. وقد كنت أحس على شاطئه كل
عصر ، وأزقت معه كل غروب ، فكان أبسي وصديقي وملهمي .

والمصلي العزيز الذي أقامه حدي بالغش ، ونبي أبي حوله سور
من الحجر .. كال حدي وأبي من بعده ، يجب أن يتوفا من ماء
التبل رغم وفور المياه في الصنابير، ويصلي على القش في حضن
أنيل رغم الاستسعة الشراية الفحة التي يملأ ب الدار ، وتحت
شجرة الجميز الضخمة التي يتجاوز عمرها مائة وعشرين عاما .

علاقتي بدارنا مبرقة متينة ، فكيف أبرحها وفيها كل شيء من
عائتنا المنددة الحيدة .

أعاس أجدادي . كتبهم . لوحانهم . ذكرياتهم . صورهم .
نصائح أصابعهم .. آثار أقدامهم .. زفير دخانهم .. أين
جراحهم .. فيها سيرتهم . فرحهم . غضبهم . قلقهم . صراخهم .
صبرهم . زرعهم . شمسهم . قمرهم . سورهم . آمالهم .

جيسيت ادحن .. وجيسيت سبي .
أخبرت زوحتي بمعنى ما جاء في التقرير .

وعبها شهوياً فراقب البيت .. السقف والجدران والأشياء الملقة
على الجدران ، ونعجب كيف تدوم ما رويداً رويداً .

وحلال هذه الشهور كان يحثي عن سكن آخر يجري على قدم
وساق . على الرغم من عدم اقتناص تماماً بهذا السعي ، فهو غير
منطقي بالرة ، وربما لاي أوس كما تعودت بأن الله لن يخلدني
إذا وسوف يمد لي يد العون في الوقت المناسب .

ولاني كنت أعلم أن بدايتي ونهايتي في داري ، وإن حيلتي
وموتي فيها .. ولأنه ليس من السهل التحلي عنها لأسلط الأسباب
ولا حتى لأعقد الأسباب ، فقد قورت إقامة كوخ خشبي كبير في
صيف الحديقة الأسر .

أحياناً نضع فيه كل ما يحين أحله من الأثاث ، لا بمعنى قدمه ،
ولكن كلما دنا منا .. فأخذت الثريات كلها إلى المعاش لأنها تدل
وأصحت مصطدم بها . وكل ما مصطدم به يحلمه .. سورة جدى
التي كانت تعلو بمنزلة على الأقل ، أصبحت أمامي ، وغدت عيناه
في عسي ، وطرانه تدس في نظرائي ، وتكاد طومني ، وشاربه
المتصب في أمان يحتقرى ، فأنصاع وأخيه نظرائي تحت أهدابي
المتكسة .

رفعت صورة حدى حتى لا تكون سبباً في هسي ، وخاصة أنني
رأيت بوسة الشقية ، ترميها بحصانها الجلدي القديم وتكاد تسقطها ،
ولحمت بها الساعة الإثرية الكبيرة التي كانت هدية من الوالي التركي
لحدي الكبير اثر استمراكه في معركة حربية بمنطقة القسوم
السوسنة .

وجاء دور صوال العظيمة المصنوع من الإبروس ، وشلفاته
البابلية وأوانيها المقوشة بالزهور الملونة ، تحيط بصورة جميلة
ودقيقة لنابليون الثالث .

والملاحق القصية الزاهية رغم هشرات السنين ، إذا أزلت عنها
طبقة الإثرية ، تجلت بكل حسن عربة رمسيس الحربية وهو فوقها
يقودها في شموخ .

بعد العمر الطويل ، وبعد المجد والعزة برعت كل الأوسمة التي
لزير داري وألفت بها من الكوخ .. تحولت معاني الإباء والشتم
إلى رموز للصعة والصياغ .. إلى مهملات مكانها الكوخ أو العراء .
هدمت « السندرة » التي كنت قد بنيتها فوق الحمام كمخزن ،
وأنزلت الدش أيضاً ولقدوت استحم باستعمال الخرطوم ، أو أصبه
الماء على جسدي بكون من الصفيح .

وحطمت اللبيمات الكهربائية لأنها ذنت حداً ما . ونزعت عداد
الكهرباء وسلمته للمؤسسة . وكان لابد من العودة إلى مصباح
الكروسي .

أما بالنسبة لمعالي فقد كنت أذهب إليه بلا انقطاع .. ولكني
للأسف لم أقدم له ذرة من مقل ، ولا دقيقة كاملة من انشائي
وتفكري .

اجلس بين الرملة صورة ، ارد عيهم وأسألهم وأجيبهم . ولكني
كائناتكم أو السران ، ولم يعد أحد منهم يسألني عن داري . فقد
أصبح أمرها معروفا للجميع ، وسحروا مني ومها بما فيه الكفاية .
حتى استعدوا في محالها كل قدراتهم على الصحك والإسحالك .
وهي قدرات عالية حارقة .

يعرود الوقت أصبح الأمر لا يعيهم في شيء .. وهذا هو حالهم
وكل ما يواجههم من مشكلات أو حوادث .. فهم في البداية وبعد
سماع الخبر الحزين يكون إلى درجة الانتحار . ثم تنتفي عنهم
حالة عكسية تماماً ، فيصحبون لدرجة الكآبة وسكرون على أحسن
هذا الحادث لفترة .. حتى تتعادل النستان .. الضحك والكآبة ..
الحنن والرشا .. ولا يعود هناك في نفوسهم أي اثر لهذا الموضوع
فينسونه تماماً وينسحبون في استرخاء حتى يذهبهم حادث
آخر .

فهم إما ضاحكون وأما باكون .. والأشياء الموجودة بالسعة لهم
هي التي يصحبون عليها أو يكون منها .. وما لم يفجر ضحكهم
أو بكاءهم فهو غير موجود ، بل هو الغد ذاته رحتي لو كان إنساناً
واعر الإنسانية .

.. نوالى هبوط سقف الدار وأنا المسحوق لا احد مذاقا للطعام
ولا مسما للنوم ولا طعاما للراحة .

شكوت لطوب الأرض .

نظمت لكل من أعرف ومن لا أعرف من المسؤولين .

حدثت في المهدي والساحد والكنائس .

وكتبت للصحف .. بعضها نشر الخبر في سطرين لا يقرأ ؛
وبعضها لم يجعل بالامر ، وربما لم يفهم معنى ان يهبط سقف احد
المازل حتى ياتي يوم ينسحق فيه اهله .. في نظري لا خير
ان تستعمل دارك او تهدم .. لماذا لا تبحث عن غيرها ؟ ..

كنت احسهم سيكتبون عنها حتى لجرد كوبها ظاهرة معمارية
غير هادية ، يجب التعرض لها بالتحليل واستشارة المختصين
واساندة كلية الهندسة .. ولكن يبدو اني اسأت اختيار الموعد
الذي بعثت فيه انحر للجريدة .. ويجب ان المس العذر لها ، فرمما
كانت مشغولة بحملاتها الصحفية المثيرة .

وصاحب الحاجة لحوج ، ويعتقد ان السكون كله يجب ان
يقوقف لسماع شكواه .. لذلك آثرت ان اتكفن بالصمت . انصت
لنضع بامات سوداء سكنت القلب والاجفان ، فاذا جن الليل وهبط
قارنا في بحيرة المساء ، شرعت لتعرف لحنا الوحيد .

ذلك لان السقف يرغم الشكوى يهبط ، والحداد يرفع التنظيمات
سوحى وهي مثلهم لا تابه بحالي .

وكما كنت وأنا صغير اراقب عقرب الساعة الكبير وهو يتنقل
بين ارقام الساعة ، أصبحت اقضي كل وقتي بالبيت ، في مراقبة
السقف . واحال نفسي رأيت مرة وهو يهبط . ولكن حساب الهبوط
يحمل من غير المنطقي رؤيته .

اد انه يهبط نصف سنتيمتر في الاربع وعشرين ساعة ، اي مليمتر
كل خمس ساعات اي عشر الميمتر كل نصف ساعة .. وهو امر
صعب التصديق ، لا رؤيته فقط ، بل الحلقة لمدة نصف ساعة
كاملة ، ليراقب الانسان الحركة داخل عشر مليمتر .

ولكني اصدق نفسي .. انا نفسي اصدق نفسي اذا قلت اني
شاهدته وهو يهبط . نعم .. لان عيني ليست كعيون الآخرين ،
وحالي ليست حالهم ، وقلبي اصعب قلعهم .. ومصيري على كف
الرحمن ولا اقول على كف المعريت .

عني احدي الليالي الصافية الحريئة الوحيدة النائية مثلنا ،
تنبهت الى السقف وهو يهبط ، وسمعت خشخشة في اعلى الجدران ،
ورابت الهبوط جليا مع العلامات المتدرجة التي قمت بتسجيلها كل
نصف سنتيمتر من الارض حتى السقف ، كما فصل المهندس وهو
يتابع الظاهرة ، وزدت عليه بان اعطيت العلامات ارقاما ليسهل
حساب ما فات وما بقى من السنتيمترات والايام .

وظل الهبوط دقيقا ومنطقيا وبمعدل ثابت لا يخلت يوما .

اتوجه كل يوم في الصباح الى مواضع الترقيم الثلاثة ، اسلق
في الرقم وانسى في كل مرة ان افاجأ باب الرقم السابق ما يزال
واضعا للعين ، لكني لا احده في اليوم التالي ، ويعود ارقم الجديد
هو الاول في القائمة .

نظام يطرد بلا تخلف .. والخوف كل يوم يزيد ويتعدى في عوسنا ،
يحتل مساحات جديدة .. والحرية والضياع يستوليان على ، يوحان
سلوكي ، بقدابي كل متعة ، يحطفان كل بسمة ، يمتصان كل أمل .

وتعصى الايام وكلما تعددت صامتا في سفع السكون اربو بشوق
للحياة .. ننت فحاة اشواك الحوف في ودان الامل . واشتقت

في عروقي دماء العزع . فارتد وارتد .. ارتد وارتد ، حتى يلتصق
بالحداد ظهري العاري .. وانصاهل والتحلل واهبط واذوب واصبح
على الارض محرد بقعة .

ذهبت بعد مرور نحو عام وللمرة العاشرة الى مجلس المدينة ، وهم يعرفونى ، ويسحبون منى كلما راوى لانى ساحكى قصة معادة . ولكنهم كانوا فى الغالب يرحبون بى لأحلى معهم قليلا واقص عليهم ما جدد ، وإذا لم يكن هناك جديد ، فيكفهم أن يتذكروا شيئا مضحكا ، يحفف رتابة العمل ويجمعهم خسة الملل ، فتهب عليهم تسام السمات .

قال لى أحدهم مرة : انت مقرر علينا هذه السنة .

ولكن واحدا منهم كان فى منتهى العصب لحظة دخولى ، ولا يريد أن يرد على أحد ، ويتشاجر مع كل من يمر امامه .

قال صفاة دون أن أسأله أو اقترب منه :

« متى يا سيدى يبلغ بيتك هذا عالياه وأطيه كى نرتاح منك ومه ؟ »

.. الى هذه الدرجة أنا اسب للباس الصينى . وكنت قل ذلك موضع سحرتهم .. تهذب وحطت نفسى على الخروج دون أن أسأل من الحل .. ولكن مهديسا نسم بالهدوء قال :

« أمن المعلوم أن يحدث ذلك صفاة ، لاند أن تكون علامة ما ظهرت وانت أهميتها .. أقمت له أن أول علم لى بهذا الموضوع هو ليلة الانفجارات .. فتهد ومصمض شفقيه فى حيرة وقال : أمر الله .. معضيت فى سبيلى .

وأول ما فعلته حين سمعت دارى أن حملت بمساعدة الزوجة المحصنة والأولاد كل ما بقى من الأثاث الى الكوخ .. منصة الطعام ومكبى والمكتبة وأثاث المطبخ والدولاب والسرير والوفيهسات والتبغرون .

وبعد أيام ذهبت الى مجلس المدينة فاستقبلنى أحد المهندسين باهتمام .. ومضى بى الى حجرة مجاورة ، ليست حجرة المهندسين ، ولكنها كانت شاذرة من كل العاملين بها .

قال : فكرت كثيرا فى بيتكالى أن ابتكرت طريقة جديدة يمكن أن تجعل الموضوع .

فرحت فى نفسى لأن هناك من يفكر فى بيتى فبرى ، وهناك من يفكر ولو من قبيل إرجاء وقت الفراغ .

قست له : هات بالله صيكت .

قال : ما دامت الأرض ثابتة كما قال المهندسون الذين راروا البيت فأتى أرى أنه يمكن تثبيت أعمدة حديدية ضخمة ، فى كل غرفة ، تفص حائلا دون هبوط السقف عليكم .

رحبت بالفكرة وسألت من مراحل التنفيذ ودور مجلس المدينة ، فرحاني أن أنتظر حتى يسأل المدير ، ولكن المدير رفض لأن هذه المسألة لا تعنه ، وأضاف بأن ميزانيات الدولة ليست للانفاق على مساكن الأفراد .

قلت له : اذن الإشراف العنى .

فتركنى وصعد المدير ، فرفض المدير لأن هذه المسألة معقدة ، وتحتاج الى العرض عليه بمذكرة مدموغة ، وتحتاج بعد ذلك الى العرض على الاجتماع الشهري لمجلس المدينة ثم عرضها على لجنة عليا فى الوزارة .

وبعد المحاولات المستعينة التى لا تغل من تفصيل إباديه .. وافق .. ومضى الأمر متهادبا متشخرا ، يمر شهر فينفل خطوة ، ويمر آخر فيحطو خطوة أخرى .. وهكذا ..

وأخيرا وافقوا واشترت الحديد ، ودكوه فى الأرض وامتد ارتفاعه حتى بلغ السقف .

كان قد مر عام ولم يعد السقف يمو الأرض الا بمترين . ومضت أيام حلت فيها أن السقف قد توقف ، وحدثنى نفسى أن الحديد إذا كان قد استطاع أن يحتس السقف ويسمعه من الهبوط عدة أيام ، فربما تمكن من منعه الى الأبد .

ومصيت أراقب الحديد والسفح في اهتمام متعائل ، ولكني سمعت حشحة في بطن الليل ، وتبين لي أن أسطوانة الحديد الضخمة التي يصل قطرها نحو ٢٥ سم قد غاصت في الأرض ، وأن السفح اللعين قد دكها في الأرض دكا ، وأصر على هبوطه في حبروت ، غير عابئ بحياتنا ولا بأرضنا ولا بمذلتنا .

مضى يتجه إلى صندوق في الحاح .. لقد رفض السفح الحديد كانه جسم غريب في الدار ، وخلص أنه من قبيل التعدي قد راد معدل هبوطه .

وتوالى نقص الفراغ المتاح لنا ، ولم يعد بإمكاننا الدخول إلا منحسبا جدا لأن سقف الابواب يقل كثيرا عن سقف الدار .

فدونا كلما ندخل حشراتنا زاحمين على أربع ، كأننا نحترق ابواب القصور ، أو كأننا نهبط إلى تخنادق ، والآنسب أن أقول أننا حيوانات زاحفة تعيش في الجحور .

أصبحت حركتنا كلها داخل الدار بقلب عليها الانحاء ، ويرداد الانحاء كل يوم انحاء ، نهبط كلما صفط السقف وهبط .. تنطوي وملتوى .. كان دارنا هي بطن امنا ، ونحن قد عدنا أجنة لا نتعشى الا بقدر ولا نتحرك الا بقدر .. فمتى يحين يومنا فنرى النور ككل الناس .. ولماذا تقضي كل هذه الفترة في بطن امنا لقد نما عودنا ، وطالقامتنا . ونصح وعسا .. ممضى نخرج من هذا الغمض إلى الحياة ؟

كتب إلى الصحف من حديد وأعدت الكتائفة لاني اعتقدت انها يمكن أن تفسر من مصيبتى بشكل أو بآخر .

وفي يوم أرسلت إحدى الصحف مصورا ومحرا .. سألني وأجبت ، وصورني المصور وأنا اتعشى ، وصور أولادى وهم ينعنون . صورنا ونحن نصعد درجات السلم إلى دارنا الجميلة المظلة على التبل ، ثم نلحني واحدا في إثر واحد لندخل كالغتران ، أو كأننا مجموعة من السائحين في زيارة لمكة فرعونى شهير .

حدثني المدوب من الروبرتاج الذي سيهر ويؤثر ويشد .. سنصنع

هذا صورتك وهذا صورة المدام .. اما هنا فعنوان بارد ، وهذا سهم يشير إلى المتزل ، وهو في نصف حجمه ، أما المانشيت فيكون « الانحاء ظهيرة القرن العشرين » ، أو « الدخول على الركبتين أحدث طريقة لملاح الشيخوخة » ، وما رايتك ان يكون .. « أغيثونا .. المنزل يهوى .. » .

ومضت الأيام ولم ينشر أي شيء .. وعاليت نفسي وهجيت لأمري لماذا افتتح صدري لصحافة .. الكى تنشر ! تنشر ماذا ؟ ، وهل الناس بحاجة لأن يعرفوا حكايتي ؟ ان حكايتي تلعت القاصي والداني ويعرفها كبار المسؤولين ، والادعاء بعدم معرفتها محسنة كبرى .. كبرى . كبرى .

مرت سوتا كثيرة ، كل السعوط في مكانها مرموعة ، والأولاد تقعر وتنعب . تصعد وتهبط كما تشاء ، إلا نحن ، فنحن من دون الحاق أحدهم تعساء الحظ .

سعدنا يوالى الصفط والهبوط .

راينا الناس تصعد إلى السمات المتدلية بالكرسي أو المصيدة . وراينا آخرين يضعون الكرسي فوق الكرسي ، أو يستخدمون السلم ليلسحوا كتفانا من أعلى المكتبة ، وآخرون يصعدون على الكرسي ليهضوا اللوحات .. لكنا ارتحنا من كل هذا .. شكرا لك أيها السفح .

لم يعد نزور أحدا ولا نتيح لأحد فرصة زيارتنا ، ولكننا - نالرفم منا - اسحنا عرسة لهواة العرحة الذين يفدون علينا لمشاهدة دارنا العجيبة .

حياة محنونة وقصيرة وقعيدة .. لا اجلس ككل البشر مرفوع الرأس ، وإنما « انعم من » واطوى كالبردان وأتبع في أحسد الاركار ، كأي اتقى المطر ، ولكني معظم الوقت نائم مهدد ، لا أدكر الا في السفح .

لاح لي خاطر وأنا مهدد .. إلا يكون ما حاق بنا غصبا ربانيا لا روحتي وأولادى لا يصلون !

هم حفا طيبون وعسى خلق رقيق ، فانا احاسهم على الصغيرة
قبل الكبيرة حتى لا يصيوا احسدا سوء .. ولكنهم لا يؤدون
فرض اله .. ربما كان مه عانا ، ومصيت في اثر هذا الحاطر ،
فتساءلت : ولكن غيرهم كثيرين لا يصنون ، فلماذا لم يعاقبهم الله ؟ ..
واحت نفسي على قدر علمي وايماني ، ربما يعاقب الله الجميع في
شخصنا ، وليس من المعول ان يعاقب الجميع .. انه لطيف غفور
رحيم .

اذا لم يصن الاولاد وتصلني ايضا ام محدي .. ربما يربح اله
معه وعصه عنا ..

رايت مره مما يرى النائم اننا كنا ننام على الارض بعضنا الى
حوار بعض والسف من فوقنا والريح الباردة في الشتاء «تفرص»
جلودنا نصف .. واحتصن كل منا الآخر ظلنا للدمه .. واعدت
السماء واهمر المطر .. وعرق السف .. وداب .

برأت فطرانه في امواسه .. منحا ملحا .. كان السف من الملح .
وامتلأنا مرارة واصحبا مرارة .

امرتهم جميعا بالصلاة ، فاستجابوا كأنهم كانوا سفلرون كلمتي .
وايبت .. فاستجابتهم انهم مثلي قفلون .. سحتون عن الحل .

تأكدت انني لا افكر وحدي في داري وانما الاولاد ايضا حتى
بوسة الشحية ، اصابها ما اصابنا من الكآبة وغلب عليها ما غلب عليا
من المحمود ، وهي الطعونة والنسا والاطلاق .

مدت ننام كثيرا ، لم تشرب الماء وتول وتنام وتول .. اصحنا
على جميعا في الحديقة لان السف لا يسمح لنا بالصلاة ونحن
وقوف . وفصلت انا شعصيا الصلاة في المسجد ، لاستمتع بقرب
الله ولاستمتع بالنظر الى السف العيد ، والقلة المرتفعة ارنفاع
السماء .. وانهد بعيني .. السف بعيد .. ما أحمله .. وما اروع
ان تكون بلا سف ولا يكون لمة غطاء الا السماء ، ولا من وحه الا
وجه الله .

واعود من المسجد لانتكرد واتجمع واندخل وانثنى وانحنى واعبد
من الباب كاني احتيء في حظيرة دواجن .

وانتبعل على الارض لاناول طعامي او انام ، وانا ارنو للسقف
كاني ارجوه ان يمنهني حتى اكل او انام قليلا ..

تلوذ بالصمت فلا حديث هنالك بيننا .. وماذا يمكن ان تقول
لزوجتي لي ؟ هل تحدثني عن الثوب الحديد ؟ هل احذلها من الترقية
التي نلتها او الملاوة التي زاد بها رائي ؟ .. وهل احذلها بشأن ميارة
الكرة او عن راي الكاتب الفلاني ، ام تحدثني هي عن جودة التمثيلية
التي يجب ان تتابعها اليوم في التلفزيون لانها توقفت بالامس عند
مشهد مشير ..

وملذا يقول الاولاد ؟

اذا جاء وقت الطعام واكلنا كأننا سكارى او كأننا ناكل مصيبة
لثوقت ، او كأننا احوح الى اليوم بعد سهر طويل ، تلوك الطعام
في امواسنا بالحركة البطيئة كالماشية التي تحتجر طعامها في الظل .
واذا جاء موعد النوم .. فكيف يمس منا العيون ولحطت الامن
القلقة تحترق لحظة بعد لحظة ، من بدرنا ، فقد يتحلى السف
عن انتظامه وسفط فوقنا ، يسحفا وهشم عظامنا بلا رحمة ،
وحب الحياه غريبة فينا .

اخليت الدار كلها تقريبا من الاثاث ، وصعت ثقلي في الكوح
والباقي تركته في الحديقة ، وارتميتا جسما الى جواره نشرب من
النهر وناكل علب الاعدية المحفوظة ، وفي الليل تسلسل النوم داخل
الدار المهجورة التي اصبحت ربع دار .

ترسب الحزن وتراكم ، لم تحمر وتعرق .. فصار طعاما لكل طعم
ومذاقا لكل مذاق .

اصبح الصباح في احد الايام فلما اخي الذي يعمل استاذنا للهندسة
في جامعة اجنبية قد وصل .. ووقف نادى حين لم يجد بنا
يذكره ..

راعه ما راي ، وسمع القصص ، فقام من فورده بدراسة الارض
والجدران التفتية والسقف الجائم ، وعلم كل صغيرة وكبيرة عن
الهبوط والضغط ، فحزن اشد الحزن على ما آل اليه حالنا ونحن
أحر قرع في شجرة العائلة العريفة .

وشرد فترة وبدا عليه السهر ثم قال : ما زال هناك حل .
فرحت لاني اعرف انه بينهم اكثر من اخواننا مهندسى محطات
المدينة ... قلت له : اوضح .

قال : الحل هو هدم السقف واعادة بناء البيت .
دهشت لان هذه الفكرة لم تخطر ببال احد .

.. بتا القيل امنى الناس تقرب انشاع العمه ، وفى الصباح
اتعمت مع اكبر مغاولي الهدم المعروفين بامكانياتهم وخبرتهم .
لقد آن الاوان كى نعيش كما يسى ، سيتم الهدم .. وبعد
اسوعين ندا فى بناء البيت الجديد .

وصل فريق الهدم بالآلاته الخيصة والثقلية .. الكهربية
والاوبوماتيكية ، وكذلك العمال ، وبدا الدق على القور فى عدة مواضع .
لم تصلح القورس وتطارت اكها الحديدية ، استخدموا آلات
الحفر الصغيرة ثم الكهرياء ، ولكن جهودهم ذهبت ادراج الرياح .
لم يتأثر السقف ولم يهتم ، لم تحدث فيه دنة ، وكأنهم كانوا
سنستخدمون الار فى هدم كوبرى ضخيم .

وبعد عدة محاولات وتجارب ، بعد تخطيطات وظنون توقف العمل ..
واعلم المهندس المشرف على الهدم لصالح المقاول ان هذا السقف
من السجيل هدمه ، وهذه الجدران من الصبب تكسيها .

وسألت : والحل !

بال : الانتظار .

قلت : الى متى ؟

قال : الى ان يكمل نؤوله .. السقف مستمر فى الهبوط ،
ولم يبق له غير متر واحد .. فاصبر .. وبعد ان يهبط تماما
يصبح بمثابة أرضية قوية نستطيع ان تبني فوقها وات مطمئن .
قلت : واين اعيش انا واولادى ؟

قال : فى الحديقة . فى الشارع . فى المسجد . عند الجيران ..
المهم انها هابت .. اصبر ولا دأى لان تصبح مايك وصحتك ووقتك
فى هدم السقف .. دمه وسيأتى يوم يخفى فيه .. افضل ما فى
المشكلة انك تعرف متى ينتهى .

قلت : نعم اعرف .

وسلمت امرى لله .. مات الكثير ويبيع الليل .. شهو
مهددة .

الصبر من عندك يارب .

ولو ان حياتى كلها صبر فى صبر .. ولكن الصبر مطلوب منا
مرة اخرى .

صبر .. وعندما ينتهى الصبر ولم يبلغ امانينا .

نبدأ فى الهدم من جديد .. صبر وصبر .. وصبر .

كل ما لنا الآن فى الحديقة والكوخ ، كل وقتنا هناك .. كل
لومنا هناك .. لم يعد لنا فى البيت قشة .. تركناها لمناكب تعرش
فيها الخيمات .. تركناها للشخاعيش تمرح وتختبئ من مصول
النور .

لم يعد يربطنا بالحياة غير الامل فى ان ينتهى الهبوط ، ان يزاح
الهم .. ان يكمل هبوط الجدران لاستطيع ان نبني دارا ما دما
لا نستطيع ان نحسم المسألة وهدم السقف .

مصت الايام وانا اتابع السقف دور ان اكمل او اعمل ، فهو مصيرى
وحياتى وحياة اولادى .

لم اكن بالطبع استطيع الدخول ومراقبة السقف من الداخل ،
لكى كنت ارقبه من الخارج .. احصرت شريحة من الحشب طولها
نحو متر وزرعتهما فى الارض بموازاة الجدران .. سجلت عليها نفس
العلامات المتدرجة ، وفى كل صباح اأقارن بواسطة مسطرة ، مسوى ،
السقف بمستوى العلامات المرقمة .

ما زال امامنا نحو خمسة وثلاثون سنتيمترا .. اى نحو سبعين
بوصا .

وحتى لو اتينا هذه المدة فى فندق .. فلا نأسى وبعدها يبدأ
البناء .

اعددت التصميمات وراحعتها عشرات المرات .. جميلة .. رائعة
ودقيقة وحديثة .

اتفقت مع المقاول .. ابدى اخى استعداده لمعاونتى فى التكاليف ..

وها نحن من انتظار السعف العنيد ليصل بسلامة الله الى الارض .
وننتهي احله لسدا عهد جديد وضاء عهد وسعد اعماس الحياة لستردد
في الصدور .

حلمت ليلة اى امام من ظل شجره صحمه ، وسماؤها من الاوراق
الحضراء لا من كمر الحديد ، تروح ونجى بينها دوائر الضوء ، اما
ما يجعل من الاوراق فتزوره الريح .. وصحوت ، كان الكلب يلدس
في صدرى السيف .. وكان الوهم في صورة حلم .

ولى احد الايام لاحظ ان علامة اليوم هي علامة الاسر دهمشت ،
هذا لم يحدث مطلقا منذ بدا السقف صفطه على الحدران وهوطه ..
راحمت المسطرة والعلامات عدة مرات والنتيجة واحدة .

السعف لم يهبط .. بل ولم يهبط في اليوم الثاني .. غربة ..
ولم يهبط في اليوم الثالث والرابع والايام التالية .. قرعت رأسى
في السقف من التيقظ والغضب .

بعد كل هذا الصبر ..

فان « سعادة الك » السعف - لن يصل الى الارض في موعده
المقرر !! . لن سراج عن كاهلها عوذه كما اتعتنا .. لقد احلف وعده
.. لقد آثر البقاء مطلقا على ان يحقق لنا رعة . ما زال هسائر
تلائون سستيمترا او اقل ، ماذا افعل بها .. هل انسى بينا فوق
العراق ، مطلقا في الهواء ؟ . ومن ائذي سيصير لى ان ان السقف
سيبقى ؟

ما هذا الذى يحدث بالاصط في دارى .. دار العجائيب ..
صرخت مما نى .. وسمع الناس نامرى وامرها .. وضاء الكثيرون
لبشاهدوها .. فحسوا ودرسوا وذهوا .. ذهوا بعيدا عنى ..
حتى احس الغرير ارباى ان يعود الى جامته افضل من ان يموت
ها باسم الانتظار .. والوعود .. والايمان التى لا تنتهى ، والثمار
التي لا تنهى .

يصحو كل يوم لستغفل الاسر ، والنشمس حين تشرق علينا
فانما تنحه سا لا ليوم جديد ، ولكنها تحملنا معها في وجهه يروح

ما فات ، ولنعيش مرة اخرى لحظات سابعه وذكريات ميتة .
ولكننى امانى المرضى ونهغو لامال الكسالى .

الشمس تميل الى الميحب ، واماسى تصطب حثث الايام المقبلة .
احترق قلبى شئ ما .. ربما حلوة الحياة .. ربما حب
الحياة .

مريد في رثى الرماد المتفحم ، نعت في حنايا صدرى ظلمة .
ظلمة ، ظلمات .

ضاعت انفاسى وسط الضار المسوم ، كما تلذت قطرات المياه في
شلال الهيب .

كدت اخنق .. اخنق .. اطل من هينى دمع عيى ، ادرت
حجم المهانة ، فصقت على الاحلام الهشة ، وصرخت ..

وددت او تهدم صرختى اركان الدنيا .. فتكون على وعلى اعدائى ،
لكننى كمهدى دائما عدت فكنمت الصرخة ، ووقمت على قشر المصلى

المطل على الليل .

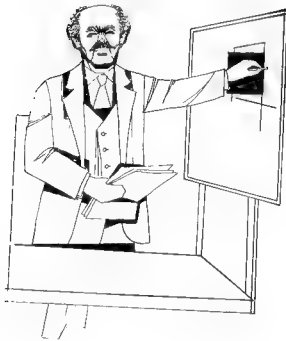
حدثت في المياه الدافكة .. قدم الى محدى وجمال .. اسعد
اذ يكون بحوارى . كما قد اوشكتنا ان نعيد البناء كما نحب وشئنا ،

ولكن السعف الصاعط ، الرانس فوق مسيدوريا ، القاصى على
ارواحنا ، توقف عن الهوط وزرع مباحة مكانه الاثير لديه فوقنا .

تنهدت وحدثت في مياه النيل كائى اسألها عن حظى .. الغيت
النهر تجمعته وتحججرت امواجه ، وما عاد ماءه يصلح للشرب

ولا الصيد ولا للابحار .

الوادى المقدس



الوادي المقدس

شهد المدرس المحور موده ، ونظر البنا طويلا قبل ان يبدأ درس اليوم في الجغرافيا . بدت سحب القلق واضحة على محباه ، ومضى يرنو للتوابع المطة على الصحراء خلف ظهورنا وكأنه يسأل الغضاء عما ينوي قوله .

لم الحيرة ؟ .. ونحن نعرف ان درس اليوم في الجغرافيا وبالتحديد عن نهر النيل هل الدهشان افندي في حرج لانه كان يطمئن ان يراه يوما مثلما نطمئن نحن ذلك ؟ ام انه كان يفكر في الرحيل من صحرائنا في سبيل كما فعل غيره ، وذهبوا الى نهر النيل .. الى مصر الحصرة والعمارات الشاهقة والميادين الفسيحة والسيارات الفارهة والاطفال المترفين الذين نراهم في الطائرات السياحية .

من المؤكد ان الدهشان رأى النيل يوما ، فلم الحيرة ولم هذا الصمت الذي راي عليه وهو يرقم اعوامه الستين قوى الذاكرة ، قباض المعلومات ، منطلق اللسان .. سواء في دروس اللغة العرصة أو التاريخ أو الجغرافيا .

مشيت اساءل حتى طلع ريقه وقال :

— لستم صغارا .. صحيح ان معظمكم في نحو الثانية عشرة وسبكم من زاد عليها ، الا اني افكر فيكم دائما على انكم رجال ، وتذكرون الامور انضج مما كنا ندركها ونحن في مثل اعماركم .

هب زميلي في المقعد ليطلق كعادته وكأنه يشت دائما انه موجود .
— ابي يقول غير ذلك .

— دعني اكمل حديثي يا صالح .

— اتفضل يا استاذ .

— انتم كمار وتستطيعون ان تفهموا ما اريد قوله .

— نحن نعلم جيدا يا استاذ .

كان بيننا رجال كبار ، فانهم قطار التعليم فى حينه ، فحاضروا الى المدرسة ينصتون فى اهتمام لتروج الدهشيان امدى ، امحبا بطريقته المسطحة التى يعرض بها العلم كقصه او معامرة . قال الكبار : ونحن نعلم ايضا يا دهشيان امدى .

— اسم يا اخوانى ولكنى اريد ان اسال من الذين يفكرون دوما فى الرحيل .

— انهم يذهبون الى الوادى .. الى مصر .

— لماذا ؟

— للبحث عن العمل .. للعيش وسط العمال .. للبحث عن الحديث .

— بل هربا من الصحراء .

— نعم يا دهشيان امدى .. نعم .

— واسم تصومون انى طالبت المسئولين بان يقوموا بتشجير المنطقة ولو على دفعات . حتى نشبع فيها ظلا ونبهة علم يحطوا .. لانهم مشغولون بالاهم ، نريدكم ان يخلعوا عن سسنة صفات الجذب والحناف .

— ولكن ما دخلنا نحن ؟

— اود ان يعتمد على انفسنا .. وليكن درس اليوم من كيفية فرس الاشجار .

سأل حادى المشاكس : وهل هذا مقرر علينا بالملهج ؟

— لا يا صالح .

— وهل سستمحن فيه آخر العام ؟

— لا يا صالح !

— ادن لماذا نتعلمه ؟ وهل نحن نستطيع مذاكرة ما لدينا حتى نصيب الينا دروسا جديدة .

— وذلك هذا قريب الشبه بما قاله لى المسئولون .

ومكر احد التلاميذ ان يلهى المدرس عن الجغرافيا فقال له :

— استمر يا استاذ .. حدثنا عن عرس الاشجار .

فقال الدهشيان امدى :

— عرس الاشجار يا اخوانى هام للغاية بالنسبة لمطعة صحراوية بمنطقتنا ، لانه هو الخطوة الاولى لنقلها الى عالم الاستقرار ثم عالم العمران والتقدم .

ومعنى يشرح انواع الاشجار وكيفية عرسها ، ورعايتها وهندستها وسائرهما الحالية ، ونحن بما نقول من سعادة واصحاب صادقين .. وقد ألح على احساس بان اخرج من المدرسة لأزور شجرة او صدة اشجار امام دارنا الكبيرة .. حين او لربون او اكاسيا وتخليل دارنا والاشجار تحيط بها كشمس البست يحتضن وجهها .

اخذت ارنو الى المدرس وهو ماضى بحماس يفسر لنا اهمية الاشجار فى المنطقة ، وعليا دائما ان نفعل ما لا يفعله اولو الامر ، لان مسفل الارض هو مستغفلا ومضيرها مصرنا .. يجب ان نصنع هابا نابديا .

استمعت بالحدث الذى طال وتشمب ، وادبت نفسى معه ، وتلقى الاستاذ وانثنى حتى انسحمت ملامحه ، وانسحبت معها قنامة الاسى وكافة اليأس وخاصة حين اس التناحور والتخلف عنا جميعا .. حتى الكبار اندري لا يملفون الجلوس هوبلا ، تسعروا فى المعاهد مشلودين الى عيبيه ولسانه ، يتابعون افكاره فى شوق . اشرح صدرى لحديثه كما اشرح يوم كان يحدثنا عن ارض سيناء المقدسة . تلك الارض التى تحدث فيها اله لاول مرة واخر مرة مع بشر هو النى موسى .. تلك الارض التى مرت عليها اقدام عيسى وامه المتول .

خاض يومها الاستاذ فى تاريخ بلادنا العززة وامجدها من كفة المصور . ومكانها واهميتها العابية ، وحضنا معه دروبا كنا نجهلها ، لكنها حببت الى نفوسنا التاريخ وجذبنا الى الجغرافيا وقربتنا من الدهشيان امدى ، فاحببنا من احله دروس النحو والصرف .

لم نعد نغضب لمسخه ، كلما اطل على كراسنا وانغزته خطوطنا البيسة التى تشبه آثار جمال هالكة .

بعد ان انتهى من حديثه الطريف عن الاشجار قال : هذا ما عدى
فما رايتكم ؟

وان اصبحت على القاصه كأننا جميعا نفدنا النطق، نبحث
فيه كنماثيل الشمع .. نهض الكبار وتقدموا منه ، فنهضوا وتنهضوا
وسلموا عليه قائلين :

.. نعم الراى .. نحن معك .

اسرعت الى الدار ودرعت شجرة واحطتها بصفيحة حديدية ذات
شكل اسطوانى مستطيل ، لتتجنب عنها هجوم الرمال الراحقة .

غدوت ارنو للصحراء بفكر مختلف ، ادقق فيما ارى وانسايل فى
تurf ، ما هذا المنظر .. ما هذا الفجر ؟ محبت لفسى ، اما كنت امرح
وأخرى لاهيا واضيا .. الآن بدت لى الصحراء قاحلة ، ليس فيها
عبر الواح الصبار تحرس الحلاء وتأمّل القدم .. الشعاء الطمّاي
تتلع الرمال التي تحتاج كل شيء وتعد الى الميون .. رمال صفراء
مستدة الى نهاية العالم الفارق فى نزف الشمس المحرقة والليل
الاسود ، والسمت الاسى يتعمق الى ان يهره نعب الريح النضالة .

رأيت صائح فاريت الشجرة ، لكنه هر كتفه واطعنى هو
على نطافة معابدة ، ارسبها معه لابه مند شهو ووصلته اليوم ،
ميدان فيسح حوله الاشجار الساسة وخلقها العمارات التساقفة ،
والثليل يدقق بالحياة ، والسيارات تحرى على شفثيه فى موكب
رائع الالوان .. ألوان يهجة ليس فيها لون اصفر .. الاصفر
الاحمر محصص لنا وحدنا .

قلت لصالح : لا بأس فمن هاهنا مر عيسى .. ورغم انى مسلم الا
انى اذتاج اذا تفتت مسامى اسم عيسى ، فعى الاسم قداسة وطهارة
ونقاء وصحية .. ولست ادرى لمساذا انخيله شيبها نالدهشان
افندى .. بلدى احمّل من كل اللعان ..

فى المساء سمعت أبى يقول لضيفه :

.. انظروا ان الجيش المصرى قادم نتيجة الصراع السياسى الاحبر ،
وستعدو المنطقة لمعابا حربيا مرة أخرى ، ستصبح أرضا للمعارك ..
فراشا للحديد والنار والثلثان والدم والحث والذئاب والالعام ..

استظل ارضا مرتما للوت، تعلق دالما شواهد القود ، ومنيعا للظما،
وملادا للصياغ الى ان تقوم الساعة .. لا أمل لى ان يبلغنا الامن
يوما .. قال الصب :

.. والتين والزيتون وطور سين وهذا البلد الامين .

افننا فى الصباح على جنازير الدبابات المصرية تقضم التلال
باصواتها الفضى ، تملن رحف المصريين عبر سيناء الى حدودنا مع
الصدور الابدى .

اخذت افرج وأنا غارق فى ذوات الرمال التي غطت قريننا كلها ..
ومغيت كالجميع الموح بالجنود وهم بلوحوون لنا فى غير احتفال ،
كانهم بلوحوون لاشجار الصبار .

استمرت الضحة ليلا ونهارا ولكن الجود كانوا يتساقطون اشلاء،
والدبابات الى كانت ترعد اصحت تتعافى شظايا تفرش الصحراء
منقوش قاتمة من الحديد والدم .

وتراجع الراحقون .. مهم من يسرع بالعودة ومهم من يسقط
امام الدبار لوت ، فندم له الماء فلا يشرب ولكنه يصبق ، تسأله
فلا يرد ولكنه يكاد يشتمك بنظرانه المكومة ، ورجت اربو للرمال
التي اصحت رمادا بعد ان اهل العار عليها كآيته السوداء .

لم نم فى هذه الانام القليلة ونحن فى غابة الدهشة .. وابى
بشرب كما نكب . سمع احد الحسود يقول فى مراة : لقد انتهى
كل شيء .. فعدا سيناء والاسرائيليون قادمون .

صرح الدهشان افندى : ايها المجانين .. سيناء لا تعدها ابدا ..
لعنة الله على الحرب .. سيناء لا تضيق .. انهسا كتف مصر ..
وذراها الامن .. انظروا الى الخريطة اقراوا التاريخ .. اقراوا
انقرآن .

اسرع الى داره وعاد بحمل لوحة كبيرة عليها خريطة ملونة لمصر
وقد تحلت سيناء فيها كشمس مشرقة .

قال أبى : لقد خلقنا الانسان فى احسن تقويم ، ثم رددناه
اسفل سافلين .

قال : الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم اجر غير ممنون فما يكذبك بعد بالدين ، اليس الله باحكم الحاكمين .

صدق الله العظيم

— عذرم والعود احمد .

— نحمد الله . . هل تعلم باى اصبحت مدرسا واود ان بدا من الآن ولو في الحلاء .

— نعم مشيئا نبي الخلاء . سنبدا من حيث انتهينا .

— سمعتم الاولاد تاريخ البلاد .

— سنعلمهم اولاً كيف يفرسون الاشجار ، ثم تعد سيناء مطعمه لوال ولهيپ ، ننزله بنا الشمس من ناحية والحرب من ناحية اخرى . بل ستكون اما وعادة وظلا حيوا . مهيا نعرس الاشجار .

ورد الدهشان : تراها ليس ترايا انه ذهب . . احتلظ برملها الدم المقدس . . دم الانبياء وانارهم ودماء المصريين وانارهم . . تأملوا الخريطة .

وعرض الصايف على ابي ان يرحل الى الدلتا مرمض ، ولكنه قبل بعد الحاج عبي واصدقائه ، مضينا الى بليس . . اما الدهشان . . فقد ابي شدة ان ينتزع منها .

اكتمت تعليمي حتى حصلت على دبلوم المعلمين وعينت مدرسا . . وعشنا في لاحة الهرمية عدة سنوات ، راضين كالكلاب امام كهف الزمن العقيم ، وامامنا تمتد دروب المحنة بلا نهاية . . تعلمت حولنا حيوط المبكوت .

وجاء الامر بالانقصاص وكنت في اول عهدي بالجدية فرجعت مع الحيوث امصرية باصرار الثائر وعزم المتقم ، تسابق روحي قديمي . هانذا قدام اليك . دمي يدعني نحوك . . وكل شيء يناديني يا سيادة . حياتي بعيدا عنك موت ، وموتي بعيدا عنك حين واسحار .

مرت الفسة وتعلمت رمال سيناء بدموعي ، فاذركت انهبنا بالفعل ذهب وبكر قريني الصغيرة التي تقع بالقرب من العريش لم ادخنها الا ايام بعد اثني عشر عاما كاملة .

مضيت من فوري الى دارنا فلم الق الا اطلاقا ، لكس وجدت في استقبالي شجرتي العريفة ، شجرة ممرها اثني عشر عاما ممر عريش . . نمت في قبستي .

كان منظرها البديع هو الذي انارني حفا وابكاني . . لقد نمت الشجرة في اصرار ، برعم الوعاء الحديدي .

انشجرة حصرها نحيل جدا لانه محصور بالصفيحة الحديدية ، اما ما فوتها فمريض يتفرع في كل اتجاه ، له اذرع طويلة برحب . . مدت الشجرة كالكاس .

احيرا وحدها الدهشان امدى وقد نحل عوده ، وشاب شعره ولكن بهجته لعدومنا اعادت اليه ما فقدته خلال الى عشر عاما

المظاهرة



المطاهرة

كان الصمت يستولى على الحجرة تماما ، والصبايط تصفح
باهتمام محله مملوءة بالصور ، وقدماه على المكتب .. فجأة صرخ
التليفون .. رفع الصبايط السماعة ، قال بهدوء العظماء :

— نعم .

انتمشى حتى كاد يتشقلب ووقف معتذرا : أهلا يا فدم .
عطلت يده نشاط في ترتيب هداياه وشد حزامه ، وكل حواسه
تنه لما تسمعه ، وبني الحين والحين يعلق بكلمة أو كلمات :
مستحيل .. هنا في قصر الليل .. لكن يا فدم الفرار صريح .. يمع
أد .. أوامر سعادتك .. القوة الموجودة عيدي بالغسم لا تكفي ..
أه لو سمحت .. نعم .. حاضر .. لا تهتم سيادتك .. سألحق بها
فورا .. مع السلامة .

انتظر إلى أن أعلق محدثه السماعة ، فوضع السماعة وشرد ..
غرب حرسا ، ولم ينتظر الإجابة .. زعق .

— يا صول عبد العاطي .

جاء على الفور الصول عبد العاطي وذلك الأرض بحدائه . انتصب
محيطيا هامور القسم : تمام يا فدم .

— أجمع لي القوة واستدعي حصرات الصباط . وه على
المركبات كي تستعد ، أبلغ الكل بالتحضير حتى من قام بأجازه .
دق عبد العاطي الأرض بحدائه مرة أخرى وحيا الصبايط : في
الحال يا فدم .

دار على عقيقه وعفى في حماس .

تقدم الصباط من الخريطة المعلقة على الجدار في مواجهة
مكتبه . سقطت نظراته مباشرة فوق الكوبري . بداه من أوله .
سعد غلزل يقف شاهرا يده كالسيف .

أشار بمصاته إلى المواقع التي ستمر بها المطاهرة .. أين تراه
أضيق ممر يتعين عليه أن يحتله ليسد عليها الطريق .

فتح الباب واندفع الصباط :

— ماذا حدث ؟

— مظاهرة .

في صوت واحد ردّدوا وراة .

— مظاهرة .

— مظاهرة .. كما قد ارتبنا من هذه الامور .

— ربما لا يكونوا طلبة .

— طلبة او غير طلبة ، المهم ان هناك مظاهرة ، اى عمل ضد القانون .

— وابن هى الآن ؟

— فوق كوبرى قصر النيل ومنحه اى ميدان التحرير .

— وبعد الميدان .

— لا يعرف .

— ما هوها .. ما هدفها ؟

— لا احد يعرف .. البلاغ لم يعدا بعير ذلك

— اما ان تتحه بسما الى قصر العيسى فمجلس النصب .

— او تتحه الى الامام حيث باب الطوق فمصر عابدين .

— او تتحه يسارا الى شارع رمسيس حتى قصر الفة .

على اى حال .. علينا الآن ان نذهب فوراً الى ميدان التحرير ونصرف حسب الظروف .

— احذركم من العنف .

— هم الدين يبدون .

— لا داعى للرد عليهم حتى لا نتورط اكثر .. تكفى الدروع والعصى .

— وماذا بعد ؟

— انتظروا الاوامر .

— راين انه لابد من المسيلة للدروع .

— موافق على سبيل الاحتياط .

— اتصل سيادتك بالمطابقه لتتحق بنا .

— من المؤكد ان سيادة اللواء اتصل بهم .. فصلا هى انه ليس

من سلطتنا اصدار الامر اليهم في مثل هذه الشئون .

— ادب لابد من مساندة قوات الامن المركزى . فحن وحسنا

سنسحق .

— وعد سيادة اللواء نارسالهم فوراً .. لكننا منطقتكم ومسئولة

حنكم .. فهم الآن يعمون بأرضكم .

— تمام يا فندم .

— بعد دقيقتين على الاكثر نأخذ تمام امام القسم .

انطلقوا جميعاً ، جود ومباحث وصباط وسيارات لورى وجيب ..

في ميدان التحرير هطوا ..

في آلية تامة انتظموا صفوا ، تحمل الدروع والعصى . ونفوق

دهوسهم تصطف الحورات الحاسبة وترى .. على الاسفحت تدق

الاحدية النغيلة . وفى العصا تدوى الحاحر مصة قوتها ومديرة

شراستها ، وقدرتها على الردع : ها .. ها .. ها .

اندفع احد الصباط ومعه جهاز الاتصال . وصعد فوق كوبرى

المشاة الذى يلعب حول الميدان كدائرة النار .. راقب الكوبرى في

اهتمام وتحمير ، راقبه اعداد ضخمة من الجماهير ، تهدر بأصوات

لا يتبناها تمر الكوبرى وتتعدم كالمول .. كحيوان اسطوري ظهر مرة

اخرى في نهاية الزمان .

تحدث في الجوار الى رئيس القوة .

— تمام يا فندم .. المظاهرة ضخمة جداً ، لا ارى لها نهاية ..

عدد كبير محمول على الاكتاف .. ارى حدود الامن المركزى وهم

بصطفون هنا امامى في اول الميدان . يبدو ان الاوامر لم تصدر بعد

لايقاف المظاهرة والتبقي على زعمائها .. الساعة بين المنطساهاوين

وجنود الامن لا تزيد على خمسين متراً ، صحت الصباط ليستنقل

رد المقدم رئيس القوة :

— اتق في مكانك .. سننظم الى قوة الامن المركزى .. سنوقف

المظاهرة .. رب الله .

التهلكه .. انه لجهل حقيقي وطيش اكيد .. الروح احق ان تصار
والصبر اتمن من ان يهدر في موقف كهذا .. الدم الغالي سراق بكل
بساطة وبديشك البندقية ستتحطم الرعوس .

زعم المأمور في الجميع .

.. استمدوا .. لتأبكو جيدا ، ساقف على جانب الشارع ،
سأخبر اليكم مجاباتهم .. انظروا الى يدي ، لانكم لن تسمعونى ..
لا تفهمهم يمعروا .. هذا افضل موقع لاحتجازهم ..

اسرع الضباط الى الطوار .. وصلت الجموع الحاشدة .. استمع
الصابط الى هتافها المحنون :

.. الاهلى حديد .. الاهلى حديد ..

كادت الدهشة تصعقه ، حاول ان يستمع لهتاف آخر .

.. وبظلمك مين ؟ .. الاهلى ، وفريقك مين ؟ .. الاهلى .

كاد الدهول يقضى عليه .. اماق من غيبوبة المفاجأة ، انتشى مرحا
لان كل هذه الجموع تشجع فريق الاهلى ، لانه هو الآخر يشجع
الاهلى .. رفع يده وهتف معهم .

راوه الحنود وهو يشير بده .. اتقصوا على الجموع الراحعه
يردونها في صف .

بدأ أنهم غير قادرين على الصمد .. رمعوا الايدي بالمصى .. اختطفنها
الجمامير الراحفة الهادئة كالسبل .. تقدمت الظاهرة الهالعة
بالفرح .. تلتاحي الصود ..

تمددت الجموع في الميدان الكبير وانتشرت .. النساء والاطفال
في الشرفات يلوحن بهزاره .

.. اعتقد ان الشيوعيين وراء هذه المظاهرة .

.. كيف عرفت ؟

.. نحمون اعلاما حمراء .

.. لا بد انهم كذلك .. ومع ذلك لن ندأ العمل الا بعد معرفة
هويتهم .

اشار المقدم الى ضابط وثلاثة حنود يرتدون الملابس المدنية :

.. توجهوا فوراً الى المظاهرة واندسوا وسط الجماعين .. حددوا
نوع الهتاف واكثرها ترددا ثم انفسوا اليها بسرعة عند اول
الميدان .

استدار الى الصابط رؤساء القوة :

.. كل القوة بالخطوة السريعة تنجه الى اول الميدان .

انتظر الجنود حتى تصدر لهم أوامر رؤساءهم المباشرين
الصابط الصغار .. ثم بدأوا الفر في أماكنهم .. اقتدامهم تملو
وتنحصر ، الى ان صدر لهم الامر الثاني بالاتجاه الى الميدان ..
فتقدموا اليه ، يطلقون صيحات الرعب والتهديد : ها .. ها .. ها .
بلغوا المكان ووقفوا صفا واحدا متشابكي الايدي ليكونوا سودا
حصينا من الاحساد والدروع والخوذات والنظرات الشديدة والعداء
والتحجر .

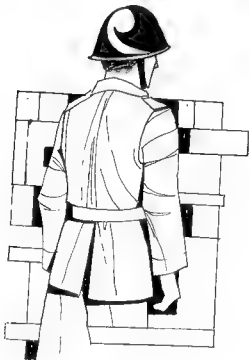
بدأت الاعلام الحمراء الضخمة .. الصيحات من الميدان كله ..
بدأت المظاهرة خرابية في حجمها .. زحف طويل عريض كثيف ..
صيف متحمس .. الزعماء المحولون منهبون ، بعضهم مفتوح
الصدر تماما والفرق يسيل .. حشد هائل من البشر ، لم تعرف
بعد مطالبهم .

قال احد الضباط لزميله :

.. كيف بحرا هؤلاء الشباب على ركوب هذه المظاهرة والخروج
فيها ، القابون الذي صدر يمنع المظاهرات بشتى صورها ما وال يعمل
كعادة عالية .

.. شيء غريب حقا وحماس اسطوري سيؤدي بأصحابه الى

الوجه والحائط



الوجه والحائط

لم يكن بمصلي عه غير سر واحد . تطلعت اليه . حدثت في
الدوب الى بحر المستطيل الحجري المواحه لى مباشرة . واجهنى
الحائط . دنا منى ، ثم دنا منى ودنا ، لمس انفى . ضغط عليه
سواه نحدى . تبطط انفى . لمس الحائط حدى . مفرهما بالتراب .
ضغط .. التقى بمطمتين . ضغط . فى مهل تراجع الى أن بلغ
موضعه الاول .

زعق الضابط . انفوس فينا صراخه العالي . عدت ابطلق فى
الجدار . تهز القطارات التى تجرى فوقه . ترتطم المعجلات
الحديدية بالقضبان ، ويدق القضبان راسى . تدك اكتافى . زعق
الضابط مرة أخرى . تدفق صوته الهادر من نافورة إقدامه ، مر
خلال جسده المشدود . اتكب على رعوستا . زلزلها . بعدد تساقط
الصوت فى سراديب الكيان المهتر . جرى صرعا كالهارب داخل
احسادنا ورقد .

— الكل ثات . ارفع راسك . الدقن فى مستوى الكتف . العيون
امى اقصى اتساعها مفتوحة .

هذه هى المرة المليون التى نسمع فيها هذه الصارات . كف الضابط
عن الطرق .. حذب الحائط نحوه بطرائى المرتجة . لم أستطع طويلا
تجاهل استأى الألم التى تهش الامسح الابن فى قدسى .. الحذاء
سبق وتقبل .

صرح الحائط عى . اتبه الى . بخلق فى ودق النظر . تأملنى
مليا .. متين أنا قوى ثابت فى مكائى كالطود . هاندا انف امانك
ورغم القطارات .. ناست مثلك متهاوى الاركان .
دق القطار المنحه الى المرح راسى .. تأملت الحجر المواحه لىمنى ..

حلف ظهري لسرع السيارات المحبوبة ، تنواصل بلا توقف .. لا تبقى الشارع المصلوب على الارض لحظة ، يعيق فيها من اعماقه السحق المتوالي .. تطحنه السيارات وتطحنتي .

نحظة هدوء واحدة لا تتركها لي كي افكر في اي شيء ، او اندكر اي شيء .. الابواب تنعالي وتجتمع كالدهان في سحابة ، ثم تسقط مرة أخرى .. كتلة صوية نغيلة كالواح من الصفيح .

الآتية تغدقها المصحات من الارض ، وكلما حاولت ان تعود .. قدمنها المصحات ، فتحملها الرياح .. تحلق فوق رأسي ، وتنهال على قفائي ، تنحه داخل ادني ، تلف حول الرقبة وداخل الحلة ، وتمضي الريح ، لكن الآتية تنسرب الي ما تحت الحلد .

الارض تهتز تحت قدمي كاني اقف على مطاط ، او سباط فوق بركة من الوحل ... بطرف عيني تحسبت على الشرطي الذي يعد عني الي اليمين مسافة مترين .. مشدودا وحدته . محدقا في الحائط ، في الصور العالي الممتد الي ما لا نهاية . بدا مهمتا بالوقوف ، مهمتا بالحائط .. وددت ان اباديه ، ولما يلتفت الي او شير الي ناصعه بما يعيد سماعي ، اقول له .. اقول له اي شيء .. ماذا اقول له ؟

سألته ونحن مكومون في الثوري من امه المريضة ، التي رفض الصابط التصريح له بالذهاب اليها .. لم يعد هناك ما يستوجب السؤال .

ملتت . ملتت وتعتني من ساعة الصبح ، خمس ساعات ، وجهي في الحائط ، ادور في داخلي .. احوس خلالي .. لا اهتدي ، تفشل خطواتي بحثا هنيئا .. اطفو مشتاقا للحياة .. اود ان اسمع ، اسمع ولو بضع كلمات .. انعطش لكلمة .

موت بي سيدة رقيقة ترتدي ثوبا اسود ، تظلمت الي وخلصني ، مشيت الي زميلي ، الذي يستمد عني مترين سمعتها تساله :

— انتم يا بني مصلوبين كده له ؟

لم يرد عليها .. مضت وقد حملت مسؤولها سؤاها .. حدثت

نفسى .. لو كانت قد سألتني انا ، بماذا كنت اجيبها ؟ .. تسليت في البحث عن اجابة الي ان ملتت ، وعاد الالم يتمجر من تحتي .. من اصعب الصغير . وعاد عذير الصابط المتلاطم الكلمات يصنع ادني ، وبدقني في مكاني .

السيارات المسرعة كانوا يحاول السجاة من خطر لتلصق بالحدار ، نفضنا جميعا امامه وهو يتفرج علينا ، فرحا بصحبنا ، فكل الناس امامه يبرون لا يابون ، ونحن آلا ف الجنود نقف امامه بشيات . ندرس كل دوة فيه ، ونحفظه من طول التحديق .. من ينالني الآن سيحاره .

بطرف عيني احتوت نظرائي زميلي الشرطي الذي يعد من شمالي مسافة مترين .. مسعد .. الذي لا يكف دوما من السحرة والضحك .. كائن عجيب .. كانت آخر حكاياته عن زوجته التي تورم جسدها فحاة .

قال مسعد : ولم اجد معرا من حملها الي الطبيب الذي قال زوجتك تعاني من الاكتئاب . لم اتمالك نفسي من الضحك الي آخر العمر .. ومررت ايام لاحظ حلالها ان حسد روحي قعلا يتحول الي بالوعة كبيرة ، بيتما وجهها يضرع ويكفش .. ولكن للأسف كلما رانها ضحكت فيرداد جسدها تورما . من بين فقهته ليلما كلماته :

— زوجتي صريحة وأخضة ، اعلت من نفسها بالورم ، والغريب انها برغم الاكتئاب والورم ما زالت تعيش ، في حين اني لو اكتأبت لمت فوراً . بل اسي لامر قل ان اكتتب .. لا اخجل حالة الاكتئاب هذه فاما ان تعيش في راي او تموت ، وما بينهما عذاب ... لان فهمت السر في ان اعلت الناس متورمون .

مسعد كائن عجيب حقا ، لا يطلق احدا بكلمة الا وعلق عليها بما يضحكنها . وكما افند الطواير والرمح الصابط فيصرخون فيه ، ويخروونه من الطابور ليقتي حراة ، فيقول ما يصحكم ، ويضطرون لاعادته .

أما الآن فالسكين يقف مكتوم الأفعاس ، يوشك أن يموت من
الفيط ، لا يجد من يكلمه ، ولا يجد من يسخر منه .. الحائط يسد
عليه طريق السمعة ، والضابط يمر علينا « بوشة الكثر » .

لحس مسعد . أحس بنظراتي . أشار بإيمانه جهة الخلف ،
أيقنت أنه يعني زميلانا اللذين يتفون على الجانب الآخر من الشارع ،
يطلون على المقاهي ومحلات العصير والآلات والملاص .. يتسلون
بالنظر إلى المارة .

أما نحن فحظنا في كل مرة هذا الجدار ، ينتظر مسمرين ست
أو سبع ساعات ، إلى أن يمر الصيف الكبير في طريقه إلى القاعة
الكبرى ، فيلقى خطابيه ويعود من نفس الطريق .. طريق يمتد ثلاثة
كيلو مترات أو يزيد ، نقرشه نحن الآلاف على ثلاثة صفوف .

صف أنا فيه ، وجهته هذا السور وقوفه السكك الحديدية ، وصف
وجهه إلى المحلات التجارية ، وثالث في الوسط بين الرائع
والعادي ، تتبادل فيه الوجوه ، شرطي وجهته الينا وشرطي وجهته
هناك وهكذا .

كان أبي حين أخطفه وأنا صغير ، يشق علي من الضرب بالعصا
أو بالحزام ، فيأمرني بالوقوف ووجهي للحائط .. أتف ساكتا
لا أهر . لا أدفع عنى الذباب الذي وكأنه يعرف حالتي ، يكب على
عيسى وأنى يقلب فيها .

كنت أحمل في البياض المتهرى ، أنخيله أشكالا .. أدقن نفسي
في الأشكال الناقصة . تنبحر من ذهني الدنيا ، تبعد وتسلطني ،
إلى أن يصعصع صوت أبي ، فيلقتني على الأرض عيسداً عن
خيالاتي .

— فف معتدلاً والا ...

تعودت من سنين أن أرنو للحدران . أن التصق بها . أصل
حبة الرمل من حبة الرمل .. تعلمت كيف أبحث فيها عن الأشكال ،
واتتبع قوافل السمل المسافرة ، هذه التلة تمشي كما تشاء ، وهذه
تحمّل ما تشاء وهذه تدع ما تشاء .. تعلمت كيف أحدث الحدران

أحكى لها هي .. لكن ذلك كله لم يكن يحول بيني وبين الدمع يتوالب
في عيني ، حتى وأنا كبير .. وفي هذه السن ومضى الزوجة
والأولاد .

كنت أقف ساعة واحدة على الأكثر ، بعدها يشق أبي علي ،
فيأمرني بالاختفاء من أمامه ، ولما كبرت أصبحت أقف نحو ست ساعات
دون ذنب ، أو ربما هناك ذنب .. الله أعلم ..

وحس للحائط ، على أن أطيع ولا أفتح فمي بكلمة غير .. تمام
يا فدم .

— سس .. سس .

تطرف عين نظرت إلى مسعد ، اثرت إليه يدي إشارة تساله :

— ماذا تريد ؟

ووجهه للحائط أجاب : حظي الشمس يضئني كل مرة بين حمارين ،
لا ينطق الواحد منكما حرفاً .. مجرد حرف يفتك الملهوف .. لست
أدري من أين جاءوا بكم ؟

— هي هي والا ...

— ألا تحمل منك ما يقبدا في هذا الموقف العظيم .

— أنت تعرفي .

— خيبة .

حين أدخل داري أحر أقدامي تقاطني أمشي :

— ماذا أحمرت لي يا أبي ؟

أمر من أمامها دون أحالة وأرسلني على السرير .. تدخل زوجتي .

— لم ترد على ابنتك .

— سادا أرد عليها ؟ .. هل ترين أن لي رأسا يمكن أن يتذكر

شيئاً ؟ أدهس فهاك الماء ..

تمضي فتعصر الطشت . تخلع حذائي اللعين . تمس قدمي بماء
الماء .. أسمع ابنتي وهي تخرج في الشارع فردة حذائي الكبيرة
وتقول : شي .. شي يا حمار .

تقدم مني الحائط . سلق في . أحمرت عيناه . ظهرت أنبائه . مد

في وجهي اطامره الحديدية . تراجمت . تقسدم مني . تراجمت .
السيارات تندفع حلى . وقبل ان تدهمني وتسحقني استردني الحائط
اليه . حديس من حصري بمنف . عاتقني . يصق في وجهي . انفضت
عينى . معدت وعبي لحظة . كدت اتهاوى .. زعق الصابط : ثابت
ب عسكري هناك .

حدي مسعد في الحائط . تلملم . عهدياه لا يتحمل الوقوف
طويلا . يحب الحركة . القفز والدوران .. للأمام والخطف . اذا
تحدث يتمدد وينحنى . بطول ويقصر . يلف ويرفع رطله اليمنى .
صنق بأصابعه . بهرش « يشن » يافقه .

هو الآن منجند . متحجر تماما كالحائط الذى يواحه .

نحاة صرخ مسعد : امش يا كلب .

وفي لحظة قعر وتعلق بأعلى الجدار . استند مقدمه على موضع
حجر منهزم .. اساف : الحق يا حصرة الصابط .. رحل يحمل
نحت معطفه رشاشا .. لقد رايت .

صعد الى السكك الحديدية . تقاذر فوق القضبان . تحولت ابادى
الصابط . لم المحه قريبا ..

سرت ان مسعد رعم عديم تركيزه ولهفته الدائمة على الثروة
والتسلية . قد تنه للرحل حامل الرشاش . ولو لم يره لحدث ما لا
تحدد مقيا .. حادث كهذا ربما باخذ في طرعه دولا يكاملها .
وبالتحديد شعوبا يكاملها . والشعوب في رأى مسعد :

— بمى ناس مثلنا غلابة .

اضطربت للحظات .. ماذا على ان اعمل ؟ الصابط اخفى الآن .
وكاني دائما وراثنا .. لايد ان انطلق في اثر مسعد . غير معقول ان
أتركه وحده في مواجهة رجل مسلح .. صرح اصيبي من نار الالم ..
الجلد الثقيل يفرسني في الارض . شطرتني الحيرة . هل اذهب
ام أنتظر الصابط .. اذهب .. لا اذهب .. اذهب . لا اذهب .

قوت أخيرا ان اذهب لاساند مسعد . مسعد اهم من الاوامر .
اهم من غضب الصابط . قعزت الى أعلى السور . لم احس بالجلد ..
عدوت خلف مسعد .. لحقته .

— ماذا هناك يا مسعد ؟

لم يجبنى ..

دنا ما فطار يستعد لرحلته الى السويس . يتزايد سرعته لحظه
بعد اخرى . قال مسعد فجأة مشيرا الى القطار : ها هو .

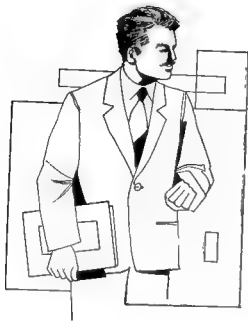
قعر الى القطار . قعزت . استنفرت قوى . اشرفت سلاحى .
وفتحت الى اقصاعها عينى .. نسيت كل شيء عند هذا الملح ..
اعدت بمى للاقاة الخطر . فليكن ما يكون .

فتحت عيناي من مسعد .. الفيتة يجلس امامى مباشرة على أول
كرسى .. بطلت فيه .. نظرة سالتة من الملح .. بأصمعه على فمه
راسيا قال : هس .

هممت ان أفتح فمى معترضا ومتساءلا . جدسى من صدى
يعنف . فالتفتى على المقعد . اسرع القطار ونحن فيه . فوجئت بانى
اركب القطار .. الهواء البارد يداعبا بحنان .. يصعب العرق . المناظر
الطلاية تبهدى لنا من منافذ القطار .. تعرض نفسها علينا وتعيب
بسرعة .

تفتت بملء رئتى . لم أسأل مسعد عن الرجل المسلح .. وى
وقت واحد ضحكنا فحاة .

لابد أن نرحل



لابد أن نرحل

تأمل شعيرات ذقنه في المرأة . مرت أصابعه عليها . راحت وحاجت عدة مرات . سمع صوت حشونتها . حلقها صباح أمس ، فكيف أصبحت لها الآن كل هذه الإنبيات . قال لعمه : احلقها وتوكل . سمة حلوة مع الوجه الحليق . نحل كثيرا من العقد المكدسة في كل مكان . يرضى منك ربك . يتقرب منك الرملاء . أه ... والزميلات .

بدا في آلية يطلق ، بينما كان يتابع مصورا يقر في رأسه . على الرغم من كونه موظفا جديدا ، لم تمض أربعة أشهر على تعيينه بالشركة إلا أنه استطاع في مدة وجيزة ، أن يأخذ على طريقة العمل الحالية بعض المآخذ ، التي ما كان يحب أن تمر على قدامى العاملين بها ، دون علاج ، وهم في منزلة أساتذته . لقد لاحظ أن الطريقة المستخدمة في أعداد احور آلاف العمال بالشركة ، طريقة حلزونية ومطولة بلا جدوى .

لديه فكرة يود لو يعرضها على رئيسه لتقليل الاحراجات ، وفي نفس الوقت تحكم الضغط وتحقيق الدقة في الحساب .

يده تحضن صغفه وتنسجه الى أسفل ذقنه ، لقد تخلص من الشعيرات اللعينة ولكن ذقنسه ما زالت خشنة . دورة أخرى في الروايا والأركان تصبح أمي . النشرة ما زالت ملساء . ريعسان الصا وغورة الشساب . الوجه ما زال وجه طفل لم يقسمه سكين الزمن الى مناطق ، ولم تشق فيه الأخاديد .

احرق وجهه مرة أخرى بالصابون . بداء فعلمان في روتينية واهتيا . لكن رأسه يفكر ويفكر .

انتهى من اتانفته . بدت السعادة جليلة عليه . لانه ذاهب الى العمل . العمل الذي انتظره سنوات منذ تخرجه .. والعمل في رأيه .. بداية الاستقرار والحياة الحقيقية .

استمد تماما .. الوقت ما زال مبكرا ولكنه انطلق الى الشارع في حماس .

حملته رشاقة عمره في حفة الى رصيف الانتظار ، ولم يطل به الوقوف جاءت على العصور السيارة المطلوبة . وقفت بجانبه .. التصقت به .. الباب مسدود باللاس . اللابس محشوة بالبشر ، واذرع كثيرة تعمل في حسيوية . تدنع هذا وتمسك بذلك ، لكنها لا تفقد على الساذ في اللابس المتحممة .

حاول الشاب بكل الوسائل . فلم يجد الا مكانا لنصف قدم ، وقبصة في ذراع المرأة . اما وجهه وجسده معى الهواء . تطلق بالسيارة محملته وانطلقت .

مضى البرد يده المتطلعة بالمرآة . لم يسأل فيه وتماسك . سألت المياه من انعم . فكر ان يتسلى بالنظر في المرآة ليتأكد من سلامة ملامحه . العاها بلا زجاج . مجرد قطعة من الصفح الصديء .

اخيرا وصل الى مقر عمله ، مر الوقت سريعا ، حتى لقد تأخر عن مواعده ، اعاد ترتيب هذائه . وتأكد من وجود هذائه وسرواله وبعوده ورأسه . اطمان على كل امصائه . كله تمام .. هو الآن صالح للعمل .

سعى ما كان . حيا رملاه وجيوه . جلس الى مكتبه . فتح الادراج النسقة . اربعة راسية على اليمين ، ومثلها على الشمال ، ودرج واحد كبير بينهما .

اخرج كعادته كل ما فيها من الاوراق والملفات . رصها جميعا على المكتب .. بسط امامه اوراقا بعضها . اعاد الطر في مذكراته الطويلة ، فيها يعرض طريقته الحديثة ، لاعداد اجور مصنع يريد التعامل فيه على المعامل . انتهى من القراءة . سرح قليلا . تأمل السحادة التي تنوسط الحجر بين المكاتب الاربعة . تسأل .. ماذا سيكون رأي رئيسه عندما يقرأ هذه المذكرة ؟

في البدء سيؤخذ ، وربما يبعد تراءها لانه بالطبع لن يفهمها من القراءة الاولى ، وبعد ان يقرأها مرة ثانية . لتتمع هيتاه بالزهر

والامعجاب . سينعمر بان الادارة التي يشرفهها برئاسته ، تضم عقليات لا يوجد لها مثيل في الادارات الاخرى . ليس هذا فقط . بل سيدا في نسج احلامه .

عليه ان يتقدم بهذا المشروع عملاء المرة ، لمدير الادارة ، وسوف يصيب من عمده قوله : لاني دائم القلق من اجل مصالح الشركة ، فقد فكرت في هذا المشروع المختصر .. واخترت هذا الشاب لتنفيذ فكرتي . يقصدني انا ؟ نعم . لقد اخترته لانه موظف بحبيب وهو مثلي قلق من اجل مصالح الشركة ومصانعها وعملها .

وبعد ان يطل مدير الادارة في مذكرة المشروع ، والحداول ويبان النتيجة المترتبة على تنفيذ الفكرة ، ومدى التوفير الذي ستحققه . سيأخذه الصبح . لكنه سيكنم ذلك في قلبه ويقول :

حسن . اتركها لي كي ادوسها .. غدا اواميكم نراي .

وقبل الطهور يكون قد دخل لمدير الشؤون المالية والادارية في امر هام ، يعرض المذكرة عليه فيدهش لها المدير ويسعد ، فيشد على يد مدير الادارة معجبا بنشاطه وكعادته ويدخلان بها للمدير العام . آه .. هنا النهاية . هنا الامل . ها القرار الذي سيصدر مورا سعد الفكرة الجديدة .

لكنه ينسحب فحاة من بين المديرين ليستمع الى همس وملاءة في المكتب .

نظروا اليه .. سالم : ما معنى هذا ؟

اجابوه في نفس واحد : يعنى دعك من هذا وتعال اسهر مصفا سيرة واحدة . سخط العمر تذكرها . اخذته الدهشة .

قال : اى سيرة يا جماعة .. انا لا اميل الى هذا الصنف من البهو . اكذوا عليه : لا تنس . سننتظرك الليلة ..

قال في نقة : اعطشوا . لن احضر .. لن احضر

عاد الى افكاره كانه آت الى بيته الذي يرتاح فيه .. هؤلاء المحسبانين كيف يفكرون ! .. هل اللهسو فقط الذي

بشماهم حتى وهم في العمل .. وما بال المذكرة المقترحة لا تشدهم وتشغل بالهم .. ان توفّر عليهم الجهد والوقت وتحفظ للشركة نفقات باهظة ؟ .. سيرون كيف يصدر المدير العام امره بتنفيذ الفكرة وبكفاءة محزنة لصاحب الفكرة .. صاحب الفكرة .. ومن هو صاحب الفكرة ؟ .. انا طعا .. ولكن ربما يدرس رئيسنا امه فيها .. لا بأس .. انا ورئيسي ، ولو انه لم يفعل شيئا ولم يكتب حرفا ، وما هو موقف مدير الادارة .. ربما يصر هو الآخر على ان له يدا فيها او انها فكرته .. لا .. غير معقول ان يقول انها فكرته فالمائل ليست بهذه البساطة .. الحلال بين والحرام بين .. فهل يسمح لنفسه باداء كهذا .. كلا .. ربما يقول انني اصحبت بالفكرة التي عرضها على هذا الموظف ، وربما يقول عدلت فيها قليلا ، وربما يقول بل ساهمت فيها بنصيب كبير .. على اي حال لا بأس .. انا ورئيسي ومدير الادارة .. اما المدير المالي والاداري فمن غير المعقول ان يقدم نفسه ، ولو انني لا استبعد ذلك ، فهو ذو انف طويل وبده دائما ممندة لاي شيء .

لغرض انهم سيبدعون شيئا من هذا .. اذن سوف استحق في هذا الاختراع الثلث او الربع حسب الظاهرين .

يا للسعادة العامرة .. اذ يتحقق الهدف .. انني افكر في عملي ليل نهار .. اعطيه اعصابي بكل رضا واقتناع ، وكيف لا وهو رزقا حبيبا .. شحرتنا التي تطلعا .

— انشأ يا استاذ حاد .

دخل السامع بينه وبين افكاره .. وضع الشئ على المكتب . ظل حاد يخلق في المذكرة وكأنه يتأكد من صمودها أمام النقد . حدث نفسه : يجب ان نبدأ بمكرين .

ترك الشئ ويهض ، حمل الأوراق في غلق . تقدم في مشية عسكرية الى غرفة المدير ، لحق به الوحل وتلقى بصدره وقدميه . الوحل الذي ورثه عن زملائه كلما انحسروا الى غرفة المدير . وجل لا احترام وخوف لا يدمع للاهتمام .

أخذ الوحل يزداد كلما قصرت المسافة بينه وبين الباب المؤدى الى غرفه المدير . طرق الباب ، ولم يسمع صوتا . طرق مرة ومرة ولم يسمع .. اربعد في انتظار كلمة عظيمة تشق اذنيه وتملأ انفاه . هي : ادخل .. ولكنه لم يسمعها .

فتح الباب ببطء كأنه يخشى ان يكون نائما فيمرجه . لم تزد الفتحة عن عشرة سنتيمترات . حتى بالكاد يرى المدير . والكاد يراه المدير اذا رفع رأسه الكريم .

وجد الممعد حلب المكتب شائرا .. تسجع قليلا وفتح الباب عشرة سنتيمترات اخرى لتتسع الرقعة المنظورة امامه . لم يجد احدا . فملكته جرات لم يبعدها وراء باب المدير ، فتحة الى نصف مداه . فمهما كانت جراته لا يجب ان يفتحها كله . لانه لا من سلطته ولا من حقه ان يمسك آخرة الباب وحدها .

رئيسه غير موجود في اي ركن بالحجرة .. دخل ودار فيها . وضع عنقه الى سقفها . هيا نظرائه وشحن ذاكرته بما فيها ، كأنه يخشى ان ينساها ..

وقف ينظر .. يده على مسد احد الكراسي الضخمة . لكن أصابعه كانت تتحسس الحبل المشدود في غطرسة وكرباء . فكر ان تقعد على الكرسي « العويل » امام المكتب ولو من قبل التندوف والاستطعام . لكن هاجسا طرد الفكرة نقوسة . ربما يعصب المدير اذا رآه جالسا مستريحاً كأنه في بينهم . استندار ليعود الى مكتبه . فوجهه بالمدير يمرق داخلا من الباب . وييده بعض الأوراق .

— ماذا هناك يا استاذ شجراوى .

تسأل : يا .. تناديني باسم جد جدى .. لماذا لا تغترب منى وتنادى باسمي وانت تعرفه .. وهو سهل جدا .. اسمي حاد . ليس اسهل من الشجراوى فما سب العطرسة ؟ هل ترى ان رأس حصرتك برأس جد جدى .

— ردنا سيد .. نعم .

— آه .. فعلا .. اصل .

بلغ ربه ثم تابع في تماسك : أما في الحقيقة .. كان تصدى أن
الأحرامات ..

— حصصى .

— فكرت في أن طريقة اعداد الاجور مطبولة وتحتاج لوقت
ونعفات .

— وانت مالك .

— راودتني فكرة .

حاول أن يتبلغ ربه فلم يمش عليه . شد مروفه بحثا عنه .
لكه لم يجد له ألوا .. بلل شفتيه لتتراق الكلمات ..

— راودتني فكرة لو نعلناها سنوفر كثيرا من الوقت والجهد ..
— وماذا أيضا ؟

— هذا كل ما هنالك .. وهذه هي الفكرة .. بإمكاننا أن نستخرج
مرتب أى عامل من غير تضريب . فكل شيء مدين بالجدول . شوق
حضرتك .

أخذ المدير الأوراق وهو في نصف حالة غضب . يسى جاهز للتوة
من مجرد عرض الموضوع .

مضى يقرأ باهتمام .. شمل الفرقة صمت لا ترعجه حتى اتفاس
من فيها .

كان المدير واقعا فجلس . أقدمه المذاكرة . وشده الفكرة
الجديدة . بدأت مصافير العودة تتقافز في صدر جاد وفرد .
قال لنفسه : ' أشهر الرجل بما رأى . وبعد قليل سيقفز من الفرقة
قائلا ' هذا ما كنت أبحث عنه .. سيمجب كيف أتى رغم سنى
وحداثة هدى بالعمل ' قد فهمت كل شيء .

أخذ يبتلع في وجه المدير . تأمل هنيهة . كيف ينظر ، وكيف
يتكلم حننا كي يرى أكثر ، وأمه الذى تدب ، وعظمتى خديه
البارزين .

استد مديرة جهته الى كعبه اليمنى . عاد فاستبدلها بكفه
اليسرى .. فحاة .. التى الأوراق في القضاء قائلا :

— ما هذا يا سيد ؟ .. هذا بحريف .. حلوسة .. وعوق أنه مجهود
صانع . فهو يدل على أنك لم تفهم عملك بعد ..

— يظهر حضرتك لم تفرا .

— بل قرأت . وعلمت أمرا جديدا لم أكن أعلمه . أنت مخروب .
حاول ألا يستلم للرغض ويتراجع .

قال :

— نتناقش ...

— هذه حلوسة لا أناقشها .. ليس عندي وقت لأضيقه معك ...
تعمل .

استولى على جاد غضب هائل . لكنه أمام المدير لا يستطيع إلا
أن يموت في جلده ، ويفقد سمعه وبصره ولسانه ، فلا يعود بإمكانه
أن يتنطق أو يبصر أو يسمع شيئا ...
أى شيء .

انحنى في هدوء كي يلتقط مشروعه الذى كان يطير مذ دقيقة
في قضاء الفرقة . وسقطت كل ورقة منه في ناحية .. لكن مديرة
صرخ :

— قلت تفصل على مكتبك .

فتمفضل جاد خارجا منكسرا .. وحاول أن يبحث عن أى فكرة
في رأسه .. فلم يتلق أى إشارة .. لقد تحطمت الإبراج ، وانطلقت
كل القوارير ، وتمشرت الخطوط ، واحترقت الصمامات ، فانقطع
الارسال .

دق في صدره سؤال : هل استمع أحد الى النقاش الذى دار مع
المدير ؟ النقاش الذى أطاح بى وبإمكارى وشخصى وبأمالى بلا أدنى
رحمة .

لم يستطع أن يفتح عينيه ليرى الطريق . لم يستطع أن يفتح فمه
ليجيب من يتألمه أو يرد تحيته .. أوثاب في فؤاده المخذور
بالهرمة ، على أن يكمل طريقه الى المكتب .. هناك حيث ينتظره
زملأؤه ليعرفوا مصير الاختراع . الاختراع الذى ظل يعمل فيه

بالبيت ، مده تزيد على عشرة ايام بلياليها . هز راسه في الم ..
سيحكون كعادتهم .

اهم يضحكون من كل ما يجسرى وفي نفس واحد . رموسهم
ويغوسهم مشحونه ببرنامج اليكترونى واحد . سيسقطون معا على
الارض من السعادة او السخرية او من التشفى او من او من .. بعله
اشداقهم وحلوهم سيضحكون متى .. متى .

طع بصعوبة باب المكتب .. توقف . استند الى الحدار . لم
يدخل . قرر ان يخرج من الشركة كلها .. لن يكتب اذا ولن يوقمه
من المدير حسب الاوامر ، ولن يتركه لزملائه .

اطلاق كالصاروخ الذى يعرف وجهته ، ومرق من البوابة الواسعة
دون ان يجيب من نادوه ، او يمر مرافق الباب المتعانا .

تسكع فى الشوارع .. الساعة العادية عشرة . مضى يتخرج على
معارض الحلات . لاحظ له عينان مثل مينييه تطلقان فى وجهه
من حلال الزجاج . خجل من نفسه . لم يعود الفرجة على القنولين
.. تابع سيره فى غير اتجاه .

تذكر الاهانة . احترها . العاهة مرة . احس بالاستهانة . وود
لو يحذل الطوب من الارض . وضرب العريات ويهشم زجاج
المالى ..

توقف عند احد الاكشاك . ابتاع علبة سجائر . اشعل منها
سيجارة فى ارتباك . حبل اليه ان الناس لرمقه فى محب لانه يشرب
سيجارة . الناس تحلق فيه .. تحمى حوله . لماذا يشرب
سيجارة . ضحكوا .. سحروا منه . كل الطريق يضحك . شرب
يشرب سيجارة ويخرج من فمه دخانا . افقاها على الارض .. ضحكوا .
داسها بقدمه وبمشر باقى العلبة فوق الرموس .. هزل الجميع .
صاق بالناس .

الشوارع يمتلئ بالناس كانه مزاد لبيع البشر .. تسأل .. من اين
كل هؤلاء . اليسوا فى امسالهم ومصاتهم .. مزارعهم ..
مغارهم .. ام ان كل رؤسائهم فعلوا معهم ما فعله معي المدير .

لقد هاملنى بثقله وطردنى شر طردة . رغم انه كان يقول دائما
انى بمثابة ابنه . ربما لانى اطيعه فى كل ما يامر واستسلم له .
الآن يرانى الابن العاق . لان لى راي .. ومادا اكون اذا لم امكر
وإذا لم يكن لى راي ..
مضى يتسكع فى غير اتجاه .

رحام فى قلب رحام .. خرج الرحام من قلب الرحام . ليكتفى
برحام ملتحم برحام وبفترتان فيصطدم كل زحام بزحام . غاق
بالرحام . قرر العودة الى البيت .

بلغ الدار . احس برغبة مجنونة فى الشول . اندفع مباشرة الى
الحمام .. نمرى . انتظر .. دعا نفسه للشول .. نادى اصحابه .
لم يتبول . بعد لحظات سكنت اصحابه . اقترب من المرأة . يخلق
فيها . لم يجد وجهه . المرأة غير مكسورة فابن الوجه . أين
يا ترى تركه . فى الشركة أو فى محل . هل سقط فى الطريق .
أسك راسه .. وحدها . دارت حولها يدها . لكنها لا تظهرى المرأة .
صحيح انه يضى براسه فوق جسده كالنطخة . كتلة لا دماء فيها
ولا نض .. لكن ان صورة وجهه التى تعكسها المرأة !

لقد راي حسدا يرتدى بدلة ولا راس له . صعد الى السرير .
سحب كتابا وبعض المحلات لقرا . نقل عينيه بينها بلا حدود ..
الحروف ضالقة مفيدة كانه يقرأ من خلف زجاج مهشم .. واجهه
عقله بالحققة التى تحاول التغلب عليها . لا أمل فى القراءة الآن
رغم حيك للقراءة .

داب فى لحظة تأمل غير مركزة . احس بالتفاعة .. تعاهة كل
شيء .. لماذا يحرق الناس ويصمون ويغفرون .. مديره سخيف ودم
وملائه ثقيل . والرجال فى الشوارع اقياء .. والسيارات بلهاء ..
هذا العالم غريب .

ارتق بطهره فى السرير ، فاصبح راسه على الوسادة .. تمنى ان
يكون هناك عالم آخر بعد فيه ذاته .. تسع له كلمة .. ولا يسحق
فيه كحشرة .

انقطع الارسال مرة اخرى .. وتوقف فى راسه سيل الصور
المعاقبة .. نام ..

البوابة



نام طويلا واستيقظ . دار حول نفسه وحول الشقة لحظات .
 فجأة اسرع يركضى ملايحه ويمشط شعره في المرأة . اطمأن لان
 وجهه عاد الى الظهور في المرأة ، وان بدت ملايحه مختلفة وعيوبه
 منتفخة ، وجهته مبعدة بخطوط هريضة وذقنه طويلة . فتمجب ..
 لم يطقها في الصباح .

نزل الى الشارع . لم يقف على رصيف الانتظار . مضى من شارع
 الى شارع . بدا كمن يمنح قدميه من الاسراع .. ويحاول رد فكرة
 مجبوه في راسه .

بعد مسيرة نحو ساعة وجد نفسه في قلب المدينة ، ثم اسرع
 الى احد احيائها الشعبية ، ودلف الى الحارة المزدودة التي وضعها
 زملاؤه . لقد قالوا له : منتظرك الليلة لسهر معا .

فتح الباب . استلمه زملاؤه بالاحضان الملهمة ، كانه كان غائبا
 لسنوات طويلة .

استسلم لهم . سكبت اعصابه . لم يهتم بالارض حين مالت
 به . قالوا له : لا أمل في أن تفكر هناك أو تحلم .. أما هنا فبإمكانك
 أن تحلم كما تشاء ، وتفكر كما تشاء ، فنحن هنا أصحاب الرأي
 والكلمة .

احس بالرفضا ولم يصبه بالارض وهي تهبط رويدا رويدا ...

البوابة

لم يعاجئه الجمع الكبير الذى ينتظره فى مكتبه ، فقد تعود عليه ، ولكنه كان كمن نسيه لحظة .

علا صفده مع انفاسه اللاهثة ، تنبه للمجهود الذى بذله فى صعود الدرجات . نظر الى الساس وأطال النظر . حملت نظرائه بعض المعانى . حوت فى رأسه الأفكار .

« سبحان الله .. متى ينتهى هؤلاء الساس ؟ »

فى كل صباح تستقبلنى الوجوه ، وتفتش فى البطرات ، فى كل صباح أتنى وحدى الى هذا المكتب المعين . لا يدفعنى احد اليه ، لكنى وحدى أحضر لالتقى بهذه العيون ، لا أحد يدق بابى ويحملنى الى هنا قسرا .. أتملق بالانويس أو بالترام .. أتملق .. وأحيانا اندس فى سارة احرة . انتسب بأى قشة لاصل الى العمل ، وأصعد تسع وسعين درجة ، فأجد كل هؤلاء فى انتظارى .

كلهم يريدون بطاقات شخصية .. بطاقات .. شخصية .. أى بطاقات وأى شخصيه .. سدج » .

يخلق فيهم وتهد .. انحه الى المكتب . حلق فى المقعد ، وكأنه يسأله ان كان مستعدا للعمل ام لا .. انحط عليه ، فانبط الناس فوقه . تداعيت الماكب وامتدت الايدى وتناطحت البطرات .

فى وجهه أشبهوا الاوراق . ضحك فى الم . كلهم يريدون بطاقات شخصية .

فى عينيه .. تماما فى عينيه ، يتسابق كل منهم كى يدرس أوراقه قبل الآخر .. رمت طالبا شاي الصباح .

يخلق فى الاوراق الممتدة نحوه ، ترغرف فى الهواء .. ترمع اليه الدماء والتضرع .. تمنى أن تمتد اليها يده .

تجاهل الأوراق ..
 ببطء دراسي تصاعدت نظراته الى اعلى .. الوجوه ترتقب منه
 كلمة . إشارة . سؤال . مهمة .
 لكنهم يحطمون .

الصف الاول يتكدس فيه عشرون وجه .. حاول ان يطلق عينيه
 على مشجب اى وجه .

جال فيها وسافر .. لم يتوقف عند اى محطة . كل الوجوه
 مسطحة وكل البلاد متشابهة . نفس الانف . نفس الشفتين . نفس
 الجباه والدقون . غير معقول . لا يشبه وجه فى الدنيا وجها آخر .
 هو رآهم كذلك .

فى الصف الثانى اكادس من الوجوه . انصاف الوجوه .. قطاعات
 طولية فيها عين ونصف انف ونصف شفة وربما ربع ذقن وخد ولا
 ادب ..

وخلال كل ذلك بلفته لهفتهم وقتلهم .. خوفهم وانتظارهم ..
 كراهيتهم .

عامت الوجوه فى عينيه . رآهم بوابة جديدة ضخمة لسجن
 كبير ..

بوابة هائلة من الوجوه والعيون .

حاول ان يرى ابعاد من البداية .. لم يجد غيرها . بوابة تمتد
 من اول الأوراق المشرقة فى عينيه الى آخر الصفوف .

« ان تفهمنى نظراتكم ولن استجيب لها . ان يؤثر فيما للكونه
 امامى من رجاء واحترام .. كل مشاعركم تجاهى مزيفة .. كلها
 موضع شكى . انا على لفة انكم تلغوننى بالرغم من نظائرات
 الاشهاد .

لن اقبل بكم . لن تدفعوننى لشئ لا ارضاه . انا فقط الذى احدد
 متى ابدأ العمل » .

مثل معصل الانويس ، تقدم هم ابراهيم بطريقة دودية بعمل
 الشاى ، يردد كلمات التحدير والاستئذان والتنبيه .

وضع الشاى على مكتبه ، ثم قفل راجعا وسط الزحام .
 نظر الموظف الى الشاى بامتعاض . بدت النظرة كما لو كانت
 موجبة فى الاصل لهم ، واخطات طريقها فمضت وانسكبت فوق
 الشاى المسكين .

مزيدا من الاعمال والتجاهل والتماد والطرسة .
 اخرج من جيبه سيجارة واحدة ويبدو انها وحيدة ..

محطمة كانت ، كانه نام عليها .. احد يصلح من شاها ويسوى
 جوانبها ، واخيرا وضعاها فى فمه .

وعلى الفور امتدت اليه القداحات وتفربت اليه اعواد الثعالب .
 اشتعلت نيران صغيرة وتراقصت امام معده .. نظر الى الشعوع
 المضادة واليران التي تتلوى متلطفة الى عناق سيجارته .

برهة ثم وضع السيجارة فى جيبه وترك النيران ترقص ، ونهض
 فجأة .

اجتاز الزحام الذى اشق له فحاه ، كانه عصا موسى .. خرج .
 خرج بهائيا .

احدا منهم لم يتحل من موقعه . تدلت السيوف المشرقة
 بالاوراق .. مضت عين الصف الاول تلوك الصر وترقب الدخان
 الذى بدأ يحرق ويتلاشى . الوقت يمر .. الدخان يعمى والوقت يمر
 والصبر يتعذر .

الموظف المحتص لا يطهر .. تصاعدت السنة الهمهمات .
 - تراه ابن ذهب ؟

- فليذهب احدهم للسؤال عنه .
 - اذهب انت .

سقط الصمت ولم يذهب احد .
 عاد خيط الكلمات يتسلل من بين الافواه .

- انا هنا من الساعة .
 - انا هنا من السادسة والنصف .

- انا هنا من الامس .

لم يحتمل احدهم هذه المبالغة .

— وكيف هذا ؟

— جئت بالامس وبنت عند اخي المقيم في نهاية هذا الشارع .

— أين تراه ذهب ؟

بعد الصبر ، لكن المواقف المحتلة تحتاج لثريد من الصبر . لا يمكن التحلى بها بسهولة . انهم الطليعة . المقدمة التى يتعين عليه ان يبدأ بها ، سواء هو او غيره . اليوم او غدا .

امتد الصبر قليلا ولم تتوقف الاسئلة والاستفسارات والهمهمات ، ثم بدأت لغة جديدة .

— استهتار .

— قلة استعما .

اطلعت كالعادة اصوات العقل . كالعادة وفى اشد الحالات سوية وفى اخص المواقف .. تسمع اصوات العقل .

— طولوا بالكم يا جماعة .

— كلها عشر دقائق او ربع ساعة .

— ربما حلق الكون فى ستة ايام .

— هانت .

فى عز الفسك وتسمع الحوموع من يحدثها عن الصبر وعن طول البال .

لكن نغمة السخط تسرب من جديد .

— نحن هنا منذ ساعتى .. شيء قطع .

— الفطيع هو انت .

— انا ؟

— كف من دفعى للحلف .

— بل انت الذى تدفع .

— لقد صبرت على امعالك مدة كافية .

ترداد المشاحسات كلما قل العمل او اتسد الطريق فى وجه

الامل . يواحه الافراد بعضهم بعضا ويتقاتلوا .

— انت الذى صبرت علينا ؟ نحن الصابرون على حجبك وانت

كالعبل .

— انا كالعبل يا ..

— يا جماعة .. لا يصح هذا .. صبرا .. فات الكثير ..

— هانت .. تحملوا .

— الاستاذ وصل .

— افصح يا سيد .. اصبح يا أخ .

— انه عم ابراهيم .

— أين الاستاذ يا عم ابراهيم .

— يشرب الشاي .

— الشاي هنا امامنا .

— يشرب غيره فى العهوه .

— ماذا تفعل ؟

— ما سمعت .

تعالى الاصوات وضحت الافواه بالبعات والاعتراض .. فجأة لم يجدوا نقطة صبر واحدة . بطلقوا فى وجوههم وكانهم يبحثون عن الوسيلة .

قررت منه سهم شجاعة ان تنزل الى العهوه ليحملوه منها حملا ..

هبطوا الدرجات وهم يلتهمون حماسا وباسا . يرددون عبارات وادعة يجب ان يقولوها .

قبل ان يكتفوا القهوه حدث تعديل فى ربح الميرة ، فنقدم اشخاص وتراجع آخرون . اندمع البعض وتوارى البعض واعتزل البعض .

لحده بالتهنى يطالع الجريدة وامامه الشاي . رآهم . اشباح يوجهه الى الجانب الآخر . تقدم منه الفيل وكأنه ادرك حجمه اخيرا .

— يا استاذ .. نحن هنا من ساعتين .

لم يرد .

تقدم المشاجر مع القيل ، فهو ليس أقل منه ، وإذا كان القيل هو الأكبر حجماً ، فإنه الأرجح عقلاً .. قال :
- ورأينا مصالح .

- أخذنا بصحبة ادنا من العمل بساعة .
لم يعبأ . تقدم آخرون وقالوا ما فلدوا عليه من الكلمات الهادئة ..
الراجية .. المتنية .

سحب من سيارته نفساً طويلاً وأطلق عليه صه ثم نفثه في وجههم وعاد إلى الحريدة .
لدفقت منهم عبارات مهمة تستهجن وتستكر . فجأة دق المنضدة وتعبرت كلماته من بركان شدقه :

- ماذا تريدون مني ؟ .. أريد أن أفهم ماذا تريدون ؟ .. ابتعدوا ..
لن أبرح مكاني قبل أن أشرف الشئ وانتهى من السجارة .
تحمس القيل .. في حزم وأصرار قال :
- بل ستصعد معنا الآن .

لقى بالقنبلة التي يتضائل معها الكل .
ابهر الجميع بهذه العبارة القوية الصارمة ، فأبدوها بعنف ، واقتربوا من القيل ، تداخلوا فيه ، أصبحوا جميعاً صفاً واحداً .
متحد الملامح ، تحمل عيونهم نفس النظرات .

ابتسم الأستاذ في قرف ولم يرد عليهم . تصور القيل أن الأستاذ لم يصب به ولم يهتم بكلامه ، فهو إذن غير محسوب . لابد أن يعلم الجميع أنه ليس بناء هشاً .. قال :

- إلى المدير يا جماعة .
اندفعوا إلى المدير في هدير صاخب وزمجرة .. استوقفهم عند الباب إبراهيم .

- تريد المدير .
- لم يعمل بعد .
- بل وصل ورأياه منذ قليل .
- عيم تريدونه ؟

- لا دخل لك .. افصح الطريق والا ..
تخلى إبراهيم عن الباب . فتحوا . لم يجدوا المدير على مكتبه .
كان بالركن الآخر يكح . بكل قسوة يكح ويسعل ويصق في المنديل .
ثم يعود ليصحب الأنفاس من الجوى الأبيض أمامه .
راعهم وجهه المحتقن وعيناه العاطلتان وألفاسه الضطرية كشخص يحتقن .. يطلق عيهم .

- ماذا ؟
- ثم كح .
- ماذا ..
- ثم كح وصق .
- ماذا تريد .. ون .

العجز



المعجز

مهموما . شاردا . لا يتحكم في خطواته ولا يحس بتقدمه ، هاد
الى بيته بعد الظهر . يجتر في رأسه ما حدث .

فهو يراجع خزائنه كل يوم وبسيط المنصرف منها مع الاذونات
المقدمة اليه . كل يوم . كل لحظة يتأكد من سلامتها ودقة ما فيها
بالليم ، فكيف تكتشف لجنة الجرد المفاجيء ان لديه عجرا في
مهدته المائلة قدره ١٤٢٦٥٠ جنيها .

شيء يقرب من المستحيل ، لقد عرف الجميع عنه دقته وحساسيته
المرهقة للنقود كأمى خزينة قدم . أكثر من عشرين عاما وهو بهذه
الحجرة وأمام هذه الخزنة ، ومن هذه النافذة الصغيرة يصرف في
الشهر الموظفين وغيرهم ما يقرب من ربع مليون حبيه ، ومع ذلك
لم يحدث ان فقد مليما واحدا .

وهذه الأيام بالذات تشهد بان حركة النقد الوارد والمنصرف
محدودة ، اذ أصبحت الهيئة تعتمد على الشيكات أكثر من النقدية
في صرف مستحقات المتعاملين معها . فكيف حدث هذا المعجز !!

المبالغ تبدو دائما لا بخفي ، ولا برهقه كثيرا اذا اضطر لدفعه ولو
على شهور ، لكن القضية بالنسبة له ليست حجم المبلغ ، انصاف
الكرامة . الخبرة في العمل ، تاريخه في الهيئة . السمعة والكفاءة .
الناس . آه من الناس وما دور في رهوس الناس وفي نفوس
الناس . . وهيون الناس .

كفاءة الشخص في عمله تحدد نوع النظرات التي توجه اليه ،
فالناس لا يمكن ان يحترموا اذا كان مهترا في عمله او مضمحوما
الكفاءة .

عندما اقترب من بيته كان قد اوشك على السقوط من طول

التفكير ، ومما زاد في ارهاقه وانهالك جسده انه لم يصل الى نتيجة ، ولم يبتدئ الى حل ولم يضع يده على سبب لهذا العجز ، رغم انه بطل جيدا كبيرا لاقتصاد ذاكرته التي يستند الآن انه فقدتها .

لم يتذكر أى شيء . أحس بالعجز من التفكير . بل أحس أيضا ان أجهزته لم تعد تعمل .. مؤكدا ان قلبه الآن متوقف ، وجهزته الهضمية منمطل ، حتى جهازه التناسلي .. كل شيء مات .. انه مجرد شيء يتحرك .. يتحرك بقدرة الله وحدها .

سعد درجات السلم وهو يسير بأحر ما تبني في رأسه من أعصاب . دخل الشقة وهو يسحب آخر ضوء في شمعته مكره وذاكرته .

وقعت عيناه على التليفزيون ، ووقعت عين التليفزيون عليه . الى نفسه شحها ناحيته . أدار المنعاج . طلق التليفزيون .

كانت الشقة سابعة في السكون . دوى فيها الصوت الحاصل والصوت الباهت .

سوى الرجل كل شيء وكان رأسه التي يحلها دائما فوق كتفيه ، قد استندت برأس أخرى ، حاوية تماما ، ولا يدري شيئا عن أى شيء .

اكتشف صند التليفزيون عن منظر لراقصة رائمة اللحم تتلوى . جلس الرجل على كرسيه المصاد وسط الردهة . طهره الى الجدار ووجهه بالوسط .. بالوسط في مواجهة جهاز التليفزيون ، بلا ستمتر واحد جهة اليمين وبلا ستمتر واحد جهة اليسار . والراقصة في قلب الدنيا .

طلت عيناها عليها لا ترمش . تأمل بكل اهتمام حركاتها النيرة القريبة .

قال في نفسه ار قالت له نفسه : راقصة عظيمة حقا .. منتهى اللياقة واللبونة والجمال .. هكذا يجب أن تكون النساء .

تسرب الى رأسه ديب خافت ، ينقر في رفق .. يذكره بالعجز والحرية . أحس التليفزيون بالنقر ، فمد يده الخفية التي تقف

موق رأس الرجل تحرسه وتوجهه . وطرد كل الهواجس ، ولم يسمح بأى تقى على رأسه الذي يمتز به ، ودق على مفتاح التثبيت ، أى المنعاج الذي به ثبت عينا الرجل على التليفزيون فلا يرى غيره . استرخت أعصابه فمد ساقيه على المنضدة الصغيرة .

— هل جئت يا يوسف ؟

جاءت زوجته المعتلة من الداخل تدق الأرض . لم ينتبه لصوتها . وضعت يدها على كتفه . أدرك وهو مرتبط بالراقصة أنها زوجته . وضع يده على يدها — دلالة على أنه يرد تحيتها — دون أن يرفع نظراته عن التليفزيون .

مد التليفزيون يده الخفية المكونة من ذرات مشعة ، فوضعا على رأس الزوجة المعتلة ، فغطت على الكرسي كأنها تحمل اتصالا تنوء بها . ربطها بأحباله . ثبت على رأسها لوحة أزراره . أمرها أن تمنع وتدهش وتقرأ .

قالت : حبيبة كالريشة .. ألم يكن جسمي مثلها يا يوسف ؟

لم يسمع يوسف شيئا ولم ينطق حرفا . فحاه أحتقت الراقصة وظهرت صورة نائمة للأهرامات يسما الموسيقى تعرف .

لم يسمع يوسف شيئا ولم ينطق حرفا .

لحظات واذن المؤذن لصلاة العصر ، وتغيرت الصورة ، فأصبحت مسجدا ومادة مرتعة يصعد عليها التليفزيون ويهبط ، ويجوس خلال أياه المسجد وأعمدته المضمخة .. بينهما بعض المصلين الحاشمين .

تذكر الرجل أنه لم يصل الظهر ، لكنه رأى ان يصلى الظهر والعصر معا .

مد لحظات دق جرس الباب .

رفع التليفزيون يده الوهمية من رأس الزوجة ، وأتاح لها الفرصة كي تسمع ، وأمرها أن تفتح الباب .

فتحت الباب . دخل ولدها الأكبر . سلم على أبيه . سأله أبوه بينما كانت الأم تحول القناة .

- أين كنت حتى الآن ؟ .. الا تخرج من المدرسة في الثانية .
- نعم ولكني كنت في ..

وضع التليفزيون يده على رأس الرجل وجذبه اليه ، ولمس معنك التركيز .

نظر من اطل الرجل على الصورة مشاهد عناوين الفيلم الاجنسي وحركات الممثلين العنيفة منذ البداية ، فاطلق سراح ولده وكف من السؤال .

- طيب .. طيب ادخل الآن .

لم يعرف أين كان ولده واحد يتابع الفيلم . وضع التليفزيون يده على رأس الولد وحوله اليه ، فلم يدخل كما امره أبوه وإنما التي خفية الكتب على الكرسي ، وجلس على آخر . تكاد تنقب نظراته شاشة التليفزيون من شدة التحديق .

انه الجميع في شغف الى هذه البداية الساحنة التي بدا بها الفيلم .

توقفت سيارة نقل كبيره مردوحه المقصورة ، وهبط منها اربعة من الشباب ، صدام الحث ، معولي العضلات . معوضي الصدر عن شعر وسلاسل ذهبية . انتشروا في المكان يحلقون في تحمر الى كل من يخرج من باب الحانة .

وخرج شاب . ما اس وقعت عيناه عليهم حتى اهتز ، اذ عرف فيهم خصومه .

استعدوا له وبدأوا يقتربون منه . كل واحد يدمو من زاويته ، والشباب يسمح المكان بظرائنه القلقة ، ناحنا من مهرق .. وقبل ان يلفوه بخفائهم المتشددة المنفرة ، استنصر قوله جميعها واسرع بالعز في اتحاهم ليبتل من بينهم ، لكن اثنين منهم تشبها به ووقعا يرفه وجهه الآخرين ، واوقعوه لبضبريه ، لكنه تمكن من افلات ذراعه الايمن وضرب به احدهم ، واختطف الدراع الايسر وضرب به آخر والثالث بقدمه اليسرى والاربع بقدمه اليسرى ، واسرع الى سيارتهم عركها وطار بها .

نهضوا اخيرا ينظرون في خيبة الى سيارتهم التي حطتهم .
قدمت البنت الصغيرة من الداخل :

- جومانة يا ماما .

لم تسمعها الأم . هزتها الطفلة .

في مجلة كان الشبان الاقوياء يندسون في سيارة اجرة لاقتناء اثار الشباب الهارب .

ضغط التليفزيون من طريق جهازه الداخلي الذي يتحكم به في رموس المشاهدين على مفتاح الوهم عند الأم . افادت وتنتهت ليد انتهت :

- ماذا تريدان ؟

- جومانة .

- نعم .. نعم .. ساحصر الطعام . اجلسي .

حطت الطفلة تتابع الفيلم معهم ولو انها لا تستطيع ان تقرأ الترجمة . عاد التليفزيون فاسترد الأم . مصت تتابع الفيلم ونسيت الطعام ، اذ المطاردة علي اشدها بين الشاب الذي خطف الشاحنة وبين أمهاته في السيارة الاجرة .

مال الشاب الى اليمين فجأة ودخل شارعاً منعزلاً ، التفتت عيناها على حين مرة مرلاً كبيراً بوانه خشبية ، اقتحمها ودخل المنزل ، فاختفى فجأة عن العيون التي تحدق في الشارع وتطلق الى نهايته .

اسرع الشاب بالخروج والعودة من حيث اتي ، دون ان يلتفت الى اصحاب الدار الذين علا صياحهم وسخطهم لرؤية النواة المشتمة .

واخيراً دخل بالشاحنة احد الحراجات ، وهبط منها واعلق عليها باب الحراج لم اشار لسيارة اجرة فحملته الى مكان آخر .

- جومانة .

كانت الأم تتابع الشاب باهتمام ، وهو يمانق فتاته عناقاً حاراً ، وكذلك كان زوجها يتابع ، وأكثر اهتماماً منهما كان الابن الاكبر .

- جومانة .

..

- جومانة .

انتهت القيلة ، وحلّس الشاب على الكرسي ، وشرعت الفتاة تقدم له بعض الأطعمة والمشروبات ، فصرخت الطفلة .
- حواية .

ارجع التلفزيون من صراخها ، فهو لا يحب الضجيج ، ويهتكر مراجه اذا لم يتوفر الهدوء التام واذا لم يحظ بالاهتمام ، بل ولا بد ان تكتسى الوجه بعلامات الدهشة والانبهار . لذلك فقد آماد الوهي الى الام حتى لا يتكرر صراخ الطفلة ، نهضت الى المطبخ وهي تقول :
.. حالا يا انتى حالا .

وضعت الاطبايق على المنضدة الصغيرة فى « الاتريه » أمام الروح .

اخذوا جميعا - وعيونهم على القلم - يملكون الايدى ويقضمون فى عطفه ، وبعضون كقرة تحتر غداها تحت الشجرة فى ظل الاصل .

حاء الابن الاوسط :

- لماذا لم تادونى لاتناول طعامى ؟

لم يره احد التعتا . جلس يأكل . مد التلفزيون يده الخفية . حذبه نحوه . بدأ يتابع العلم . وتناول الطعام بيده دون ان ينظر اليه ، وأصبح حاله كحال السابقين ، منهم من يضع ملقته فى الملح بدلا من وضعها فى طبق الارز ، وآخر يضع لقمته فى الارز بدلا من وضعها فى طبق الملوخة .

انتهى الفيلم فامر الاب ابنه - كانه فى غرفة العمليات العسكرية - بسرعة تغيير القناة . ظهر المدرس وهو يشرح البرامج التعليمية . تسلسل العنور الى الجميع ، حتى الكبير الذى يبعد السنة الثانية الثانوية ، والصغير الذى انتقل بصوبة وبعد ملحق الى الإعدادية لم يرض أى منهم ان يشاهد البرامج التعليمية وحولوا القناة ..

دخل الى حجرته الابن الاوسط وحر ذلك فى نفس التلفزيون اذ انه يجتهد فى سبيل ارضائهم ، وهمهم بكلمات اشعاعية غامضة ، كان بها يود ان يقول لهم :

- انى اجد نفسى كى أقدم لكم كل شيء وأحلب لكم المنبة والمنفعة

من كل بماغ الارض . اوفر عليكم الجهد حتى لا تفتقروا بين الاعمال كالعصاير بحثا عن عثر سعيد . امكنوا امامى وانفخوا فى مقاعدكم وسوف اقدم لكم ما تشتهى انفسكم .

حاول الاب الهوس لجلع ملامسه ، لكنه لم يستطع ، فعلى فترة وهو يشكر من ركنيه . رغم انه لم يتمد الحاسة والاربعين .

حاول مرة اخرى الى ان نجح ، ورفعت الام اطاق الطعام دون مساعدة الاولاد الذين اصرؤا على مشاهدة الاعلانات . وكل منهم تتحدد امنياته مع كل اعلان . فهو يتمنى ان يشرب بيبسى .. بسى ثم يتمنى ان يمسك أسنانه بممحون ارتفع بالفلورين ، ويتمنى ان يركب مثل هذه السيارة الفارعة ، ويدهى وجهه بالكريم الحميل ، ويام فى حجرة النوم الحرافية ، ويستحم فى هذا الحمام البالورى ، ويتمطر بهذه الرائحة التى تمكنت من ان تفتحهم الصب و .. و .

اسرع الاب بالمسودة ليلحق الاعلانات فى بعضها تطهر الغنيات الحسناوات ، وهو يحب الغنيات الحسناوات .

اسرعت الام وراة قادمة تحمل الشاى لترافقه وهو ينظر بكل اصحاب نصره الى التلفزيون ، ليخلق فى الغنيات وى املات معينة .. وهي تعلم جيدا انه يحب مشاهدة الغنيات الحسابات التحيلات « المصصات » .

انتهت الاعلانات واطلت مذبة نشرة الاخبار ، فحول الولد الكبير القناة ، ولم يعترض الاب ، فهو لا يريد ان يعرف شيئا عن أى شيء . عن أى دولة .. عن أى حادث .

فوجىء الجميع بان البرامج التعليمية ما زالت فى قمة حماسها تشرح الطلبة علومهم ، فتركوها تشرح .

اخذ الاب يتابعها بعينه فقط ، فهو لا تخصه ولكنه يشاهدها والسلام .. يحب ان يتعرج على أى شيء يبعث يشر الشاى ويحث الدخان ، ويصمص شعرة ويدفع لسانه ليستح من بقايا الطعام بين أسنانه .

دفعت الباعة السابعة مساء ، تذكر انه لم يصل اى فرض ،
واقترب موعد صلاة العشاء . شعر فحاة بالآلم من ركبتيه فلم
يهض .

حاده ولده الاوسط معانيا :

.. لقد كذبت على يا ابي .

.. لماذا يا ولدى ؟

.. لقد سالتك حين قدمت الى القميص هل اعلن صاحبك عنه
بالتليفزيون قلت نعم .

.. هذا حق يا ولدى ، لقد رايت عنه اعلانات كثيرة .

.. لكن زملائي لم يروا هذه الاعلانات وسخروا منى .

.. ربما كانوا يذكرون ولا يهتمون بالتليفزيون .

فضحك الولد مندعسا من سداجة ابيه قائلا :

.. انهم ياحدون يا ابي دروسا ولا يذكرون .

ثم مضى الى حجرته .

دق حرس الباب . بهضت الام وفتحت .. كان اخاها .

قالت : اهلا يا احمد .

وقال روحها : اهلا يا احمد .. حولي القناة الثانية .

.. لا اهلا ولا سهلا ، انتم لا تسألون على احد ، ولو مت لما
تحركتم .

قالت احبه في اهتمام وحنان : ما هذا الكلام يا احمد .. لا تقل
هذا .. امقول هذا يا يوسف ؟

اجاب زوجها بذهن شارد : فير مقتول .. احلى يا احمد .

جلس احمد يسألهم عن احوالهم وهم يردون مرة ، ومرة
معلون .

كان التليفزيون فى هذه الاثناء يبدل جهده لجذب اليه احمد .
لكن عين احمد لا تستقر على شيء لأكثر من دقيقة ، وحتى رأسه
نفسه لا يستقر ، وعقله لا يتابع فكرة الى نهايتها ، ويتنقل بين هديد
من الموضوعات سريعا ، لا يمساها الا مساهينا ويتركها ليس غيرها
وهكذا . كل ما يسمعه ويحذره موضوع يصلح للضحك ، فهو مفرم
بالضحك ، ويمكنه أن يضحك من أى شيء مهما كان حزينا ومأساويا .

وحين حذبه التليفزيون . التفت اليه وأخذ يصر من بهضاته . من
الديكور والمثلين وسطحية الأفكار . وبطرة المذيع وحلسته والاختفاء
الكثيرة في المعلومات المدممة وعدم مطابقة السلوكيات للواقع على
الإطلاق .. الى غير ذلك حتى صاق التليفزيون هذا الشخص الذى
يعتل من أهميته ، كما انه سيمكر صعو الأسرة وسيخرجهم من طاعته
ويشغلهم عنه ..

زاد من عيظه انه لا يستطيع التحكم فى الصيف الجديد ، لانه
لم يستطع لا هو ولا احجرة التليفزيون المنتشرة فى المدينة ان يتمكنوا من
واس احمد ، ولم تركب له الاررار التليفزيونية لتوجيهه اليكترونيا ..
فهو الآن خارج دائرتهم .. حر طليق كمصنوع .. جلس وقتما يشاء
وينام وقتما يشاء ، ويسافر ولعب ويحرق حينما يشاء ، ويفكر
كيف يشاء ومتى يشاء .

لكن التليفزيون لم يياس فلا بد أن يهره ويحبذه ، قرر فحاة ان
ينقطع براحه لأسباب مية ، وعدم بدلا منها استمرافا أحنيا عامرا
بالسواء والشباب والموسيقى والديكورات المهرة ، والاصواء الصارحة
الملونة ، فاهتم الجميع ما هذا احمد .

جاء الابن الاوسط مسلم على حاله وسأل ابوه عن حل لمسألة
صعبة من مسائل الجبر . قال له ابوه :

.. الوقت ليس مناسب . حالك موجود .

قال الابن : وهل خالى قريب ؟

صرح الاب : عيب يا ولد .

فانبرى النخال : أنا لست قريبا .

قال الاب فى تحد وعياء على التليفزيون :

.. قلت ليس الآن .. يعنى ليس الآن .

واحس احمد ان مشكلة نوشك ان تنشأ بسببه ، وفى نفس
الوقت قرر أن يرضى الطرفين : الابن والاب .

قال : تعال .. أسألتى عما تريد .

ادرك الاب ان المسألة ستطول ولن يتمكن من مشاهدة هذا
الاستمراس المهر .

قال بحدّة : ولا أنت تحبّه الآن .. وقت آخر .. هيا .
 دخل الصبي دافني الكتاب من قبيل العناد وعاد يجلس معهم .
 تعلّم أحمد ثم قال موحها حديثه لأخته :
 - ألم تعلّم بوصول أهلك منذ أسبوع .
 كانت الأخت مشدودة إلى التليفزيون بحيوط حديثة ..
 قال أحمد بصوت عال : فكرة .. أميتي .
 - ماذا ؟

- ألم تعلّم بوصول أهلك من الخارج مريضة .
 أحابت بتناقل : امرف .
 سألها : ولماذا لم تذهب إليها ؟

قالت وهي توارى حجلها : مشاغل يا أحمد .
 رد يهدوء .. حاول أن يكبح حجاج دهشته : أي مشاغل ؟
 قالت : أهلك له يا يوسف .

لم يحك له يوسف فهو مهممك في الاستعراض الراقص
 والرفافات .
 هربه - يوسف .. يوسف .

لم يرد يوسف وبدا كأنه ميت يجلس في الكرسي مفتوح العينين ..
 ميت من نوع غريب وحديث .. ميت عصري .
 والتليفزيون ما يزال في حيرة من أمر الصيف .
 انتهى الاستعراض فأحاطهم - نعم .. ماذا .. لماذا .. ما لكم .
 سأل أحمد : ألم تعلم بأن أمية وروحها وصلتا من الخارج لهنها
 مريضة جدا .

قال وهو يشعل سيجارة فرما تحنى شيئا من ملامحه : نعم ..
 علمت .

سأله أحمد وكان نادرا ما يتابع موضوعا إلى نهايته .
 - ولماذا لم تذهب إليها ؟

الهمت سحب الدخان يوسف بعض الأفكار ليبدأ بها فقال :
 - الحق أني مشغول جدا هذه الأيام بالذات . ولديا عمل
 بالهشة كثير .

وهنا مشاكل الأولاد ودروسهم و .. والحياة أصبحت واثت سيد
 العارفين صفة جدا .

بدا على أحمد أنه صدق ما قيل .. عمال .

- عندما علمت أنكم لم تذهبوا إليها حثت لأبيكم فلا يحور إلا
 تذهبوا لزيارتها .

قال يوسف وهو يتنفس بملء رئتيه : إذا حس صدورهم معه ،
 وأنه يستطيع متابعة التليفزيون .

- ألف سلامة .. سذهب إن شاء الله . حولوا القننة ..
 التمثيله .

أسرعت الأم السمينة النشيطة :

- لقد نسيتها فملا .

قال أحمد : أنها عملة .

كاد التليفزيون يفرح عبقا من هذا الذي لا يفهمه شيء ، ولا يود
 أن يعيره أصحابه ولو لدقائق . وهو كعيل أن يعد له لوحة الإررار
 ويثبتها في رأسه .

مصّب المثليه يدق في دروسهم ، وجاء الابن الأكبر والطغلة
 الصغيرة . ححرهما التليفزيون من ححرتهما ليتفرحا .

أخذوا جميعا يصحّون على أي شيء ، بمناسه وبدون مناسه ،
 وبعد السلسل ناولوا العشاء في نفس المكان ، وذهب أحمد وهم
 ملتصقون بالكراسي ، عيونهم ممددة إلى التليفزيون وأجسادهم
 مستسلمة « ومحطوة » .

الوقت يمضي وهم يمارسون هوايتهم في التسلل بين القنوات ،
 والتليفزيون يصبر على أن يتولى أمرهم بنفسه .. يدفع هذا لصحك
 وشعر إلى ذلك بالهوف ويعرض على الآخر أن يقوم إلى دورة المياه
 من قبل الرحمة قبل أن تدعج مشائته .

في نحو التاسعة نابت الطغلة في مكانها ، دون أن ينته لها
 أحد ، وحتى بعد أن انتهوا لم يستطيع أحدهم النهوض لحملها إلى
 سريرها فعبيت .

ويقول الى ان انتهى الإرسال في جميع القنوات ، ولم تعد هناك سورة وإنما مجرد جهاز كهربائي ، تشع منه ذبذبات صوتية تصفو سوتاً مرصعاً .. تش .. تش .. تش .

وحسب بعد ما انتهى الإرسال لم تسمح لهم نفوسهم ولم يسمح لهم لتليفزيون أن يقلعوه ، تمثل لهم خاطر مسيطر يأنه من الممكن أن تطل عليهم من بين هذه الذبذبات صورة ممثل أو راقصة أو حتى جزء من سارة في كرة القدم أو رجل ستة أو سبعة مليون دولار .

ولماذا لا يحدث هذا ؟ ما الذي يمنع من أن يعود الإرسال بعد أن ذهب المستوطنون الى منازلهم ليترجخوا حتى الصباح .

غير مستبعد أن يكون هنالك فيلم مرفوض مثلاً ، أو سهرة تليفزيونية مهجورة .. تفضب لجمالها فتكتم آلامها في نفسها الى أن تحب العرصة ، وعندما تنأكد في مرة من غيابهم تنهض من قبرها أو تخرج من عليها ، وتقع الى جهاز الإرسال ، وتعاين المشاهدين المخلصين من أمثال عائلة يوسف مهابة ، وتعرض نفسها دون أن يهدمها مدح أو مسؤل .

لم يعد هناك شيء على الإطلاق يستبعد ، على الأقل في نظر هذه الأسرة ، وهي ليست أسرة شاذة أو غريبة ولا يعاني أفرادها من أمراض عقلية .. أبداً فانهم عاديون جداً وتقليديون .

كان عليهم أن ساموا . أخيراً .. وأخيراً جداً وبعد طول صبر ومعاونة أطعواو التليفزيون ، كانوا يخشون إذا هم أطعوا ان يموت ولا يعود اليهم في اليوم التالي ، فينتشر بعضهم ويضرب الباقي من الطعام .. أخيراً اطعواه فعم السكون ، وكانهم كانوا آخر ناس في الدنيا يبقوا .. سكون .. سكون .

تبادلوا النظرات في دهشة . أحسوا أنهم وحدهم الأحياء في هذا الصالح ، أما جميع الخلق فنالون منذ سنوات أو ميون .. سكون .

متناقل بهصوا للنوم .

وما هي الا لحظات حتى لحدا كل منهم جزءاً من السرور ، جثة هامدة لا يشير الى ارتباطها بالدنيا الا العطش العالي من العصد المسك .

اطمئن التليفزيون الى أنهم جميعاً قد ناموا ، فذهب من قلبه الهيبة التي يكن فيها كل يوم كابي الهول ، ثم أخرج قوائمه من تحت صندوقه وسطها فقام عليها ، صارت تمتد بشكل خرافي . وكبرت رأسه وتضخمت جوانبه ولمت شاشته .

تجاوزت أطرافه المكان الواحد وتفرقت في المرات والمداخل والردهة ، ملا التليفزيون المكان كله حتى لم يعد في الشقة غيره .

بدأ جولته الليلية بجوس في المرات والحمرات . تحسس رهوس الثامنين .. نعم .. الكل نام وغرق في بحر النوم تماماً .. ضبط على أضرار الإحلام وشرع يتحدث اليهم في همس عال كالنجيح . يشرح صوته من كل جزء فيه ومن كل طرف لا من الصدر وحده :

— احملوا .. احملوا بي .. أنا الإهكم الأعلى فاميدوني .. امحنوني كل حياتكم ، امنحكم الجمال واللذة والراحة .

وقبل أن يكمل وصيته اليهم ، يلف نفسه في قم يوسف اصوات غامضة بلغات عديدة وكنيات ناقصة اوضح مايقها قوله : كان يجب أن يطلقها ، لكنه تخالل .

أما الولد الأكبر فكان يقول في كلمات متدفقة : ان مدسه سريع الطلقات لم يمهلم حتى ..

وكانت الصغرة تقول : أين بك بناتي وتقول لها امها : ماك ليس ملكك وحده . ماك لنا جميعاً .

انشغل الكل بالإحلام .. تراوت لكل منهم أمنيته التليفزيونية واستعداد بعضهم شيئاً ما رأى خلال اليوم في التليفزيون .

وقل العشر استندار العملاق بكل ثقة وهدوء ، لم أطرافه وتكوم . صعد الى مسره ورنس . بدأ يحور كاثور وبهبط ، يحور وبهبط ،

ويتشاهل حجه كالبالونة المنقوسة ، يحور ويتشاهل الى ان طلع النهار ، فأصبح على هيئة العادة الوديمة المهلبة التي يراه الناس عليها ، وكأنه لم يرح مكانه لحظة ، ولم يشغل احداً او يطق حرفاً .

استيقظ الرجل في نحو العاشرة ، أسرع فزعا يدس جسده في الملابس . أي ملابس .. ترك القوم كلهم غرقى في عالمهم ، يتناقل

اشتياق

خطيطهم من الحجرات محلف الضمات ، كأنهم يمرقون هذا التطيط
 تما لينة موسيقية ، وضيافة قائد اوركستراالى ماهر .
 هرب من رائحة اليوم المتعفة ، وقفر عابطا السلم الى عمله .
 بلغ مكتبه فاذا لجنة الجرد تمت الغضب وتشتت بالصبر وقد
 اوشكت على الرحيل ، لتكتب تقريرها عن حالة الخزينة .
 سالوه : ماذا فعلت ؟
 - سالهم : عم ؟
 سالوه : فى العجز .
 ففر فاه : هه .
 سالوه ثائرين : العجز .
 قال متلعنا : عجز .. اى عجز .
 يطلخوا فيه . وقع من طوله . تلقاه عرسه . وضع راسه
 فى كفيه .



اشتياق

عندما تنادى حميداً الأصغر :

- يا سالم .. يا ولد يا سالم .

يفرق أخوته في بحر هادر من الفسك .. يبحثون في كل اتجاه ..
أجمل ما في الدنيا أن يسمعوا حديثهم تنادى أخاهم الأصغر بلغها
القطنى الفارغ ، ككيس تقود قديم شدوا خيطه .

المحور وحدها في الدار . تنسم في أمي . تتكىء على سنيها
السعي .. تنامل خمة الصمت تسفل على الحدران . تنمل الكون
كله ..

الكآبة وغيب الانعاس تسبح حيوط الرد . تنهال أكوام الثلج على
كل ركن . في جو الوحدة والشجوخة تبت أهباب الفرية والوحشة .
لا يربح بك أحد . تلقى على قارعة طريق . من يسأل عنك . هذا
ومن العود المتجمل يستهدف نفسه .

لم يبق من أهلها غير ابنتها وزوج ابنتها القساوى وأولادهما .
يسكون الدور الثامن بعمارة في نهاية الشارع العملاق .. بينهما
نصف ميل .

وحدها تعيش . بلا أتياس إلا قطة ضامرة مثلها تماماً = الوحدة
والشجوخة شيبا صباها .

منذ الصباح وقلبها يأكلها عليهم لها .. لكنها ..

لكنها .. لن تترك بيتها الذي ضم زوجها حلماً جميلاً ملوياً ..
ما زال يسبح حتى الآن دفناً تؤججه الذكريات .. أنفاسه فيه ..
ذربك الأيام الصعبة .. لا تنسيها الأيام وليق الغربة .. زميل الدرب
المجهول .

زوج ابنتها قاضى مجرب . يقول .. صدقت كلماته ..

— حتى لو ضحك في الوجه الأيام ويسم للانسان وجه الزمن العابس وتعطينا بالمال بالحاء . لا يمكن ان ننسى زميلا في ثلاثة . الجيش والسجن والفرقة .

احمادي . انفاس جدكم في بيتي .. لا اتركه ..

صورته مرسومة على كل جدار . هذه نظراته ترقبني . ترشدني .

تسألني .. يده تسدني حين احم يمل الخطوات .. اسمع صوته وارد عليه . هل يملك لساني الا يرد عليه ومن قبله تلبى . لم يعبه الثراب ، فالتراب لا يضي الاحباب . لم يطوه القبر . ولا تمدد السنون الخمس .

الح عليها زوج ابنتها القاضي كي تسكن معهم :

— وراثة المرحوم !

— وكيف نطمئن عليك ؟

— تعالوا .

— انصبا بالليل والنهار .

— ادرسها عندي .

— مرتبط بالراجع والكتب وكلها بالنزل .

— دع ابنتي تزورني والاولاد .

— مرتبطة بي .

— تمنع ابنتي عنى اذن .. تحرمني منها .

— لا اقصد .. لكنها لازمة لتحصير ملفاتي ومذكراتي وترتيب المكتب ومطالب الاولاد .

— ماذا تعني ؟

— اوى امك تفلين يا امي لعفك الارتباط بزوجك الميت ، ولا تقلبي لانتك الارتباط بزوحها الحي .. والحي كما تطمين .

— احق من الميت .. اليس كذلك ؟

على نفسها تحاملت المعجوز ونهضت .. الح زوج ابنتها عليها بالبقاء . قدم الاسف وايدى الاعتذار . تركتها استنها تحرج . تعرف ان اصرار امها اقوى من الحديد .. وعنادها بلا حدود . واذا مسها تيار العصب ملن ينقلها من قبضته احد .

بعد يومين زارها القاضي والاولاد . معهم كل ما يلزم لاقامة يوم حمية كامل في شمس دارها التي لا تعرف دارهم .

ومعها ..

مر اسوع .. اسبوعان ولا خير . لمل المانع خير .. اليوم هو الجمعة .. هذا الصباح وقتها ياكلها عليهم . لو كان في نيتهم الحضور . لحضروا منذ الصباح .. الوقت الآن بعد العصر .

لا تستطيع الجدة المعوز مقاومة الرغبة الحياثة في رؤيتهم . لحظتها تحس بالانتعاش . تحس يدم الصبا يجري في عروقها المتهرئة .

هل تذهب لتأخذ احفادها في احصائها ؟ .. لا .. هل تترك المرحوم ؟ .. لا .. ما العمل اذن ؟ .. يا لها من حيرة ؟ .. الافضل ان تذهب . الالم ينخر في ركنيتها كالنمل يمتص رحيق العافية .. ان كانت هناك عافية .

نلتفت الى الجدران الداعلة في عباء واقطعت الشعبة في اناة . استدار حصدنا القوس في حركة واحدة . نزلت السلم واحدة واحدة . طفل صغير . يعود الانسان كما كان . نانا . بدعا على الصور . درحة وتنعف . درحة اخرى وتنعف .

هبطت الادوار الثلاثة حتى الباب الخارجى . الساب يبدو من الداخل كانه نمره كبيرة في كهف بعضى الى نور الشارع . تغطعت انماها .

الشارع عتلاق مهيب . الحركة فيه كيوم النشور .. سيارات تتسابق كأنها تهرب من النار .. الناس يتدافعون بلا وعى .. يطلقون كالألات بلا بصيرة . كعربة دون قائد .

اواق تمنالي نسم الأذان . الثراب والدخان . الشخص يقابل احاه لا يعرفه .. هيناه في مينيه ولا يعرفه .

حطائنا وحلة ، وقبل ان نعلمنا تنظر الى اليمين ثم تنظر الى اليسار . الشارع في المدينة الكبيرة غول ياكل الاطفال والمجانر .

ترمد عند كل بوق . ومع يشق الجسد الهش . يهتز هذه
الوقت .

وصلت عند منتصف الطريق . استدارت ترونو لبيتها كاهسا
ستفارقته . كانهم سيخطعونه اذا واصلت طريقها .. بدا زوجها يلوح
لها ..

« هذا الشارع كان أيام شبابي حاليًا من المارة أو يكاد ، والحركة
فيه شليّة .. سيارتان أو ثلاث . تسير فيه مصوب العينين ملا
تعاف ، تمشي ذاهلا من احوالك لا يهملك » تحمل اكياسا وصناديق
تحجب عك الرؤية . لا بأس ، تمشي وامامك اولادك تسوقهم كقطع
الغصن . لا خوف عليهم .. اما الآن فانت لا تلمن على نفسك برغم
الشباب » .

لمت المحور باب العمارة . انبأها البواب بانقطاع الكهرباء .
جلست على مضض تنتظر . لكن الاولاد يتقاعرون في قلبها .
تهضت . صعدت السلم . يدها على الحدار .. درجة وتقف ..
درجة اخرى وتقف . وفي كل دور ترتاح .. لتلقط الانفاس المقطوعة .
لمت شقتهم . ضربت الجرس ، لم تسمع له صوتا جلست
متهارة على الارض .. دفت الباب بالناس . لا مجيب . دقته .
دقته . الشقة مهجورة .. انتظرت وانتظرت ثم هبطت الدرجات من
حدد .

سالت البواب . اكذ لها البواب انهم فوق . في الشقة المقابلة
يحتفلون بعيد ميلاد ابن جارهم الطبيب .
المرورقة حينها بالدمع . « عيد ميلاد الصغير . واتا امانى من
الوحشة ليل نهار » .

استدارت لتفادر العمارة . قفزت في صدر البواب مشامر
الاسنان . رجاءا أن تلقى حتى يدمرهم اليها . جلست على اريكته
لتلقط الباقي من الانفاس .. صعد البواب الطيب ثمانية ادوار -
اطغ القاضى بحضور جدة الاولاد .

هبطوا جميعا في مجلة اليها .. كانت تنجيه خارج العمارة .
- اسى .. اسى ..
نظرت اليهم بعيون عاتية .. كانت العيون تقول :
- الحى ابقى من الميت .. اليس كذلك !
تهدل جسدها واتهار .. حملوها الى شقتهم .. ودموعهم تتساقط
على وجعها فتغطيها نازها .

قرية فوق الأرض



قرية فوق الأرض

يحب ..

ألا يملأ هذه المحنونة الفرصة لزبد من النقاش الهستري .
أياها تحب اللجاج بشكل خرامى . طول النهار « شقار ونقار » مع أى
أسنان يلقبه حظه الأسود فى طريقها .. وأسوأ المخلوقات حظا هم
أولادها . لا تكف عن التحرش بهم بمناسبة وبلا مناسبة ، ولا يسلم
من هذا رضيعها الذى لم يتجاوز ستة اشهر .

تحلق عدة مشاكل من مشكلة واحدة .. إذا مر أى شخص فى
الحارة ولو خطأ تقبض عليه فوراً ، كأن حشرة دخلت بيت العنكبوت
ولا تتخطى منه إلا بعد أن يقول « حقى يرقبى » .
ويذهب وهو يلعن اليوم الذى حمله الى هناك ..

امراة مستغفرة دائماً .. لقد تحملها كثيراً واشتكى منها لاهلها
فى بداية حياتهما الزوجية ، لكن اهلها كانوا يعرفون داءها ، وما أن
حملها عنهم حتى التفتوا انماسهم ، وحمدوا الله ان مطلقاً ما رضى أن
يتلقى هذه المصيبة ، وكان سليم هو الذى حملها .. انه كان ظلوماً
جهولاً .

هم امسهم كانوا يشفعون عليه ، وطالما رثوا لحاله ، لكنهم
ابتنهم ولحمهم ، وسليم طيب ، وليس مجرد طيب ، بل هو طيب
الى درجة تقيظ وتقلق ، طيب الى درجة البرود ، وهذا هو - فى
رأيهم - الشخص المثالى الذى كانوا يطمنون له ، وأن تمنى بعضهم
لها ان تمنع فى شخص مشتمل المزاج ، حاد الطبع ، سريع الغضب
إذا ناداها ولم ترد عليه قام عليها فسواها بالأرض ، لا يقول لها كلمة
إلا ويسبقها كفه على صمعة وجهها .

كان من الممكن أن يكون هذا أنسب وخاصة في نظر بعض الخبراء منهم ، المحنكين في الحياة ، المتعربين بطباع البشر المحببة .

لكن اشفاقا عليها ، لأنها ابتهم .. لحمهم وعرضهم . لها يؤلمهم ودومعها تدعى قلوبهم ، لذلك اختاروا لها شخصا من النوع الاول النوع الطيب جدا لدرجة البرود ، وسليم هو زعيم هذا النوع وأبرز أعلامه ، لدرجة انه يكاد يكون بلا شخصية .

ولو كانت له شخصية قلن يسمح لزوجته « الولية القرشانة ام عياله » أن تتصرف معه على هذا النحو الشرس .

وطيبة سليم هي نفسها سبب معظم مشاكله مع زوجته . هي نار حامية وهو بارد كالثلج .. البرود يتفجر من حركة أصابعه الواهنة ولعنته الكسول ، وصوته الرخو ، « يطهق » بلد ويضطرها أن تمل الحياة كلها ، وتبرح مكانا هو فيه .

ويسبب كسله هذا فهو لا ينتظم في عمله عند فلان أو علان . في أرض العمدة يعمل يومين ، وسرعان ما يتركها ويذهب « لأمينة » خليعة برقع الطوب ، يترك هذا كله ليعمل في « تعطين الكتان » . ليست له صنعة ثابتة ولا قرش ثابت ولا معنى ثابت .

الوقت لديه جلابيل فضفاضة ودائما صامت . كان صوته ملذ له ، أحيانا يشور على طباعه وعلى نفسه ، لماذا لا يكون شيئا ما ، ولماذا لا يفاخى الناس بحركة غرسة تهرهم فيحدثون عن هذا الساكت « السهن » غير السهل .

قرر اليوم ألا يعطي « الولية القرشانة ام عياله » فرصة لفريد من الصراح ووجع الدماغ .

المصر قال « الله اكبر » ، اذن ليذهب الى المسجد فيصلي « ويروق » وأشا الله « تولع » .

بلغ المسجد . دخل بيت الادب . تطهر . استدار للميضاة .. وقف في الردهة الصغيرة بين بيت الادب والبفاة ، يشمر أكماله ويسلم ويحوقل ويشهد ويصلي على رسول الله .. لكنه توقف فجأة . حذب انتباهه الذي لا ينحذب أبدا قعل معلق على باب صغير . قعل ضخم ، اسود لونه من الصدأ ..

قالت له نفسه : ما هذا القعل ؟

رد عليها : مالنا الآن ومال القعل .. قدمنا للصلاة .

قالت له نفسه : هذا القعل غريب الشكل وهذه أول مرة أراه

ها ..

رد عليها : أول مرة أو آخر مرة .. مالنا نحن .. جئنا هنا للصلاة .

قالت له : لابد ان اعرف .

القعل كتلة حديدية . سليم يرقبه ولا يملك لنفسه فككا .. اجراس الفضول تدق داخل برجه ، وهو حائر .

قالت له نفسه : انه باب المذنة . افتح القعل وأصعد . تمرح على الدنيا من خلال المذنة . الى متى ستظل في الدليل .. كن إيجابيا مرة . حديق في القعل . انقض عليه . اعتصره بأصابعه المروقة .. معر القعل قاه . انحلت عقدته وفتح الباب .

باب المذنة الذي لا يفتح لعمر الشيخ رجب فتح لك يا سليم .. ليس غركما في البلد .

حلق في يديه وفي القعل وفي الباب ، رقصت أعماقه كأنه فتح باب الجنة .

قال لنفسه : ياه .. انا داعية كبيرة ولا أعلم .

نسى كل شيء في الدنيا واستعدت مشاعره لاستقبال السعادة والمتعة . تأمل اولى دوجات السمسام ثم تطلع الى جدران المر المخوف ..

فجأة دخلت عليه « الولية القرشانة » .. وقعت بالباب .. قالت له :

— يا خبيثك .. ماذا تفعل هنا .. الكل يسعون من اجل الرزق وانت ؟

— كفى يا امرأة .

— تحرك يا رجل .

— احمدي الله واصبري .

تقدمت نفسه بجسارة ، وأبعدت طيف أماراته أو عفرتها كما يحب أن يسميه ودفعته إلى الداخل .

المحلح محروق والسلم كثير الدرجات ، كيف يجتازها الشيخ رجب وهو كالخرتيت حجبا وملامح .

صعد الدرجات ، كأنه يهبط في سرداب سرى ، حذرانه ملتصقة تدور وتدور ، بصعوبة أفتح نفسه انه لا يخوض في مصران أو أمعاء .

ترافق السؤال الحائر أمام عقله كلما « انحسر » في منعطف .

— كيف إذن يمر من هنا هو كعب الشيخ رجب بشحمه المتراكم ولحمه المكس ؟

بلغ السطح . انكشفت السماء بكل أناسها . . ليس هناك مخلوق واحد على الأرض الآن أعلى منه . رنا إليه الأماق في دهشة : ما الذي أتى بك إلى هنا ؟

الدنيا كلها أمامه ، خطوط في كفه . . تسلمت طرية نقيب تسربت إلى أبعده ونفدت إلى صدره . . تنفس ببلء وثنية وسقر أعماقه الظمأى . . أحس بالهبة لأنه ابتعد عن دخان الفم .

— ها هي التربة . تلح مياهها مع تلعب فتات الموج ، ها هو القطار يجتاز حدودنا من بعيد البعيد ، في أقصى امتداد البصر كثنبان أسود . يتسلل من بين الأشجار الباسقة ، لا يدخل قريتنا ولا يرضى أن يقيم بها لحظات .

فكر أن يؤذن للصلاة ، لكنه تذكر أن الشيخ رجب إذن لها .

— ماذا لو ادعواهم مرة أخرى . . فربما هناك من لم يسمع . هذا أفضل فعلا . ادعوا مرة أخرى للصلاة ، وكله بثوابه .

وهم . . سحب أنفاسه وفقره إلى أقصى ما يستطيع ، وضع راحته على صدره . شيء إلى أوقعه ، أفتح نفسه أن ثورة أهل البلد ستكون عليه شديدة لأنه عث بالقدسات .

حدق في البيوت . . كلها بيوت مسكينة . أغنى الناس مسكين وأغنى الناس مسكين .

ترب إليه إحساس بالشفقة عليهم . . البيوت من طين . . كل الاستقف من الحطب والقش . . تكدست فوقها الاتربة وجاء دخان الأفران و « الكوانين » فسودها ، كل بيوت القرية سوداء حتى بيت الممعة وشيخ البلد .

القرية كلها عبارة عن بقعة سوداء من الفقر والغلب والضالة والاكماش .

من هنا . . من فوق المئذنة بدت له قرنته صغيرة . صغيرة جدا فلماذا وهو في داخلها يشهر أنها الدنيا وأم الدنيا وأصل الحير ومصدر كل غداة البئس .

ناس غلابة . طبيين ، تمزك السنثم ، لكنهم طبيون ، وكل أملم في الدنيا عشاء ساخن ، وأقصى آمنيات الأم جلاب لهما .

وأخر ما يبتفيه الرجل حرث أرضه وسلامة بهيمته . . العمدة ورجاله يمشون على الأرض في تيه وخيلاء ، لكنهم مساكين برغم هذا التيه والخيلاء . . يراهم جميعا من فوق المئذنة صغارا كالود .

لديه الحق إذن في أنه لا يتوتر مع أحد ولا يتشاجر . . القرية كلها صغيرة ، كلها على بعضها بسكانها وبيوتهم ومعشهم لا يملأون قطارا واحدا .

لص . لص .

لمح لصا يحمل آنية ، يمدو فوق الأسطح . . من تراه ! سقط بس الحطب في بيت الحاج سلامة . . لم يعرف بالصبط من أين صعد ؟ . . هام جدا أن يعرف من أين صعد ؟ . .

ومع ذلك لا تشغل بالك . . ربما كان اللص هو ابن الحاج سلامة وربما كان صموه من دار همت . . في قريتنا السارق أخو المسروق . . والهاب هم المتهرب .

هام في الأفق يرنو للشمس التي تستعد للرحيل . . للسيارات التي تجرى على الطريق السريع ، لتلتص أجسامها حين تسقط عليها

اشعة الشمس ، النهر الكبير هناك .. كل ما هو كبير هناك .
تراه فقط من فوق المئذنة .. سرود لفترة .

عادت نظراته تترنق للقرية المحشوة بالكلاب ، والاولاد الذين لا يجدون
غير التراب يلعبون به .

بذات السنة الدخان تتلوى فوق الاسطح الحطبية الدكناء .

نبت هناك تركت جرتها عند الظلمة ، ومضت خلف دوائر العمدة
حركاتها السوداء تبدو من اعلى برغم ضياع النور ، يبرز لها جسد
من ناب الدوائر الخلفي . شكرى ابن العمدة ، في حجم ابيه ، لكن
البيت ككل البنات . رفيعة العود وتلبس السواد . طرحتها السوداء
تدور حول الوجه المضيء كالسوار .

لا . ليس شكرى . انه العمدة نفسه ، يتقلب في جسد متدحرج
كارمة عجول في زكية . استدار وضم على الفتاة ذراعيه .
ابن زوجته ، لابد ان ابذلها ، زوجها المسئول عن القرية ، يماثل
فتاة لا اصرها .

.. احقا لا تعرفها .

.. اقسام انى لا اعرفها .

.. صفها لى .

.. رفيعة القوام وترتدى السواد مضيئة الوجه كدور .

.. اهذا كل ما هناك !

.. اجل .

.. واين كنت انت ؟

.. انا . انا كنت فوق المئذنة .

.. انت كادب .. غير مسموح لاسان ان يقترب حتى من باب
المئذنة .

تضلى فجأة من امكاره السابعة ، في اسئلة زوج العمدة . حين لمح
شيخا يحرق في اثر شبح ، احتفيا لم هانا للظهور .

من خلال الضوء الباهت استطاع ان يتعرف على شكرى وزكيه
الخادمة .. آه زكية الخادمة .. هكذا اذن .

لكم تمت زوجته ان تعمل عند العمدة ، فهناك حير ومير ورزقي
في غير نظام وبلا صاحب .. لكم تمت ! .. ماذا لو قال للعمدة
عما جرى من زكية حتى يطردها ، فتحل زوجته محلها .. سيأله
العمدة .

.. وكيف عرفت ؟

.. رايتهما .

.. اين كنت ؟

.. فوق المئذنة .

.. كادب ..

حل الظلام وتعمدت الرؤية .. على اية حال لقد راي ما لا يحس
رات ولا خطر على قلب بشر .

انفق مع نفسه على مداومة الزيارة . احس انه اعتسل ونظهر .

هبط الدرجات واعاد القفل الى مكانه ، قبل ان تصبغه عين .
فالمظرة وحدها تبني خبرا وحكاية .

میرولہ



مبروك

من باب الطعن المقام على الطريق الزرعى خارج المدينة ، خرج
سالم منحني القامة يسحب نظراته على الأرض . يرى قدسيه
الحافيتين وهما يتقلان الخطوات على تراب الطريق .. تثبتت بده
من فوق رأسه بحوال كبير من الدقيق يحمله على ظهره .. تقدم
من هريته الكارو .. القى الحوال عليها بحركة متعمدة . تعود
عليها .. احكم وضع الجوال بين الحوالات التي سبقته وناء بها
حمل العربية .

كان هذا آخر حوال في هذا الدور . بل وفي جميع ادوار اليوم ..
اليوم بالذات تنتهى ادواره بعد الظهر ، ولن تستمر كما هي العادة
حتى المساء .

اليوم غير كل الأيام .. سوف يعود الى جماعته منكرا ليطمئن
عليها .

كان الوقت ظهرا . والشمس في كبد السماء ، تملو كل
الرموس .. تلهها بحرارتها الشديدة ، وتملا الدنيا بنورها الإلهي ..
تعد الشمس في كل شيء .

لا تستطيع الصون في مثل هذه اللحظات ان تحلق فيها أو تروى
إيها .. ستمضى الأيام وستطل الشمس دائما في القمة من
محلقات الله ..

سحب سالم من أمام الحصان كيس الرسم . وضعه الى حواره
على العربة ..

صعد إليها .. طرقت موطه في الهواء دون أن يمس الحصان
مثالا .. على الله يا مبروك .

لم يكن مبروك في حاجة الى طرقة السوط ليتحرك .. ولم

يكن مبروك في حاجة الى ان يقول له صاحبه : على الله يا مبروك ..
ليتحرك فهو يعلم تمام العلم ان صاحبه حين يسحب من امامه كيس
البرسيم او التبن فعليه ان يستعد للرحيل ..
وهو معهم في هذه اللحظة تمام الفهم ان وقت الاكل والراحة قد
ولي ، وجاء وقت العمل .

يشد الحصان ساقبه ويرفع راسه .. يدفع رقبته الى الامام
في عزم وعصبية ليتمكن من جر حملة .. يحدث العروة في خطوات
متحفرة ..

انه قوى وقادر ومخلص لعمله .. ولكنه دائما ومن قبيل
الحرس يحشد كل طاقاته واعصابه ليجر العربة .. خشية ان يكون
الحمل اقل مما توقع .. لان ذلك اذا حدث - لا قدر الله - واستهان
بحملة فربما تسوء الامور ، فترل قدماء وسكر ساهه وبصيح كرامه
في هذا السقوط .. لا .. والف مرة لا .. انه يدرك هذه المسائل
ويعرف الى اي مدى هي مهينة ومثيثة .

اما صاحبه فتندر فيه هذه المفهومية وهذه الجدعة .. ولا يبخل
عليه بالطعام والشراب والحمام اللذيذ فجر كل يوم في النهر ،
بدمك له طهره وجسمه كله بالماء والصانون والليفة .. ليفة له
وحده .. يراه صاحبه جوادا ولا كل الحمار ورجلا ولا كل الرجال .

كان على مبروك ان يجر هذا الحمل عدة مرات في اليوم من
شروقها حتى غروبها ، من المظن خارج المدينة الى التحار والافراد
داخلها .. مسافة تزيد على ثلاثة كيلو مترات .

يذهب الى المظن خالبا ليعود محملا بما يزيد على عشرين جولا
كبيرا من الدقيق ، حتى يتحول لونه النني القسالم الى الابيض
الناعم .

ابدا لا يتبرم .. لا يسخط على هذه الحياة ، كما يفعل بعض النني
آدميين ..

يسبون الناس والتقدر ويلعنون كل شيء ويشتكون لطوب الارض ..
لكم راضى تماما .

ومقتنع بان هذا الدقيق الذي يحمله اكل عيش الناس واه .
ولكى يتخلص من لون الدقيق يمر حسده بشدة عدة مرات ، ا
يتقلب بعد التخلل على رمال الحصر قرب شريط السكة الحديدية ..
وبعد ان ينفض من حسده ذرات الدقيق .. ويص ان وسامه مد
عادت اليه ، يمر امام الحاج متولى في دكانه . ليلقى نظرة على
عمرته ويتلقى منها مثلها .. وتمتد البذرة في جسده .. تنشر دون
وبهجة .. لكنه يسأل نفسه بعد ان يتركها :
- لماذا لا تعمل مثله فرصة الحاج متولى ؟

وتأخذه الدهشة لبرامج حياتها .. طول النهار تاكل بحوار
الحاج ، وطول الليل تنام . هذا كل عملها .. ناس لهم حظ وناس
لا حظ لهم .. لكنها للذة .

صوت صهيلها يتسرب الى كل كيانها .. هو متأكد انها تبادلها ، ولكنه
لا يملك الاستحابة لها والعراغ لامورها الكثيرة .. في عتفه مسؤوليات
وأعمال لا تنهى ، وامل بينه وبين نفسه اذا - ان شاء الله وبدون
مفاعلة - فرغ من العمل ، فسوف يغنى اليوم كله الى جوارها ،
يستطب حناتها ، ويستمتع برقتها وحلاوة نظراتها .. من غيرها
حذير بحده ؟

اليوم على ما يسدو ستصبح الفرصة ليحقق ما يريد ..
لقد احبره سالم بان العمل اليوم سيكون نصف يوم فقط ..
سيذهب سالم ليطمئن على جماعته ، وسيذهب مبروك ليطمئن على
جماعته .

صحيح ان سالم صاحب العربة يشغل عليه ويحبه كانه واكثر
الا ان التخلل شغل .

ولقمة العيش سيف مسلط على المساد .. ولا تعرف يا امه
ارحمي .

مهما بلغت محبة سالم لمبروك فان محبته واهتمامه بلقمة العيش ..
اكثر ..

والقصود .. ان مبروك يذهب الى المظن محملا ويعود محملا ..

١١ لا يهدأون مثلنا ويفكرون فيما تمضيه الاسنان ، وتحمله الطهور وترنو اليه العيون ..

هذا فيه الكفاية .. كان الله في عون سالم ..
بتنهذ سالم ثم يقول :

— استر يارب .. انا عبدك وراش بكل شيء .

ثم يتولاه صمت طويل يدوب فيه وهو ساهم ، يفيق بعد فترة ليقول : انت الكريم .

العربة تسير بقبر قائد أو تكاد .. سالم لا يرى الطريق ولا ينتبه الى منحنياته أو قسماته .. الحصان يتجه بأمانة وإخلاص في طريقه الى المدينة ، وكأنه يدرك ما ألم بصاحبه من الألم .. يبالغ في سرعته وخفته .. لا ينظر الى كل حصان يمر به .. ذاهل عن كل شيء عدا صاحبه والعربة والطريق .. العبد كله يقع على مائدة وحده .. تندفع خطواته بأمانة تنهب الطريق وتطويه .. وسالم فوق العربة لا يبدو لناظره شيء غير رأس الحصان ترتفع وتنخفض مع خطواته الراقصة المنتظمة .. رأس الحصان يعمل ناحية الشمال قليلا كأنه يود الاستماع لتأوهات يحس أن قلب صاحبه يقلى بها .

عين الحصان تترك وكأنها تسأل سالم عما حدث ، أو ما يحدث .. تود أن تقول له : مالك .. ولا يهتك . معك رنا ومعك مبروك .. احك لى .. الست صديقك .. لا بد للأنسان في حياته من صديق .. ان لم يفعل شيئا فيمكن أن يرفع عن كاهل الإنسان عبء أسراره . ويبتصم متاعبه ولو بالاستماع فقط .

نظر سالم الى الحصان وهام في اثر تفكيره . وعيناه لا تريان الا ما يفكر فيه .. هل يا ترى يمكن أن يفهم الحيوان ما يعاينه الإنسان .. ويرد على نفسه : نعم يفهم وبالذات مبروك .. حصان جدد .

وهذا رأسه من الفكر المشتعل حين يخرج أحشائه في تهيدة يفتلها من صدره .

كانها شجرة تحتث من الارض بجذورها .

يذهب الى المطبخ فارها من الدقيق ، ولكنه محمل بحمائمات من البشر ، رجلا ونساء وأطفالا يحملون الاكياس والقفف والاولى مملوءة بالذرة والقمح والشعير والحلبة لطحنها .. وفي العودة يحمل مبروك جوالات الدقيق وهي حمولته الصادية في غالب الاحيان .. وربما ينقل فيما بينهما انا لاسرة صغيرة ، أو لشباب امرب ، أو نصف الف طوبة حمراء من الامينة القائمة في سكة المطبخ اثنى داخل المدينة ، أما اطراف الحمولات طرا ليدبه فهي حمولة الحفريات وبالذات الكرب .

ومبروك راض بكل ما يفعله صاحبه حتى لو كرى ظهوره بسياطه ويكون اكثر رضا حين يمر صاحبه على رقبته بيده الحانية . فتمتص كل ما يدب في اعصائه من الغور والنصب .

لكن حين يقبله صاحبه فهذه اسعد اللحظات .. عندها تختلط في نفسه المشاعر الحلوة .

الحب والمغر والشكر .. ساعتها تسرى في عروقه دفقة مريحة تسره .. فيغمض عينيه ويستسلم كالمرأة المشتية تمنى الزند .

لا يحفى على مبروك ما يجري هذه الايام ، وهو ليس صغيرا أو ساذجا أو متبلدا غبيا ، وهو أيضا ليس حمارا حتى يغفل من حال صاحبه سالم ، فهو يعرف ويحس بكل ما يجري لسالم .. كان الله في عونه .

مثل ايام وعينا سالم ترسلان من النظرات الساهمة ما يفضح قلبه الشارد ونفسه الغلقة ، واليوم بالذات تبدو حركاته غير مستقرة وكلماته مبعدة وقدماء تتمثران في لا شيء .

ولا يتحقق له بعض الهدوء والاستقرار الا اذا جمع شبات صدره واقتنع به تهيدة ساخنة .

تسبى بما في جنبانه من التوتر المؤلم والقلق الموحج .. انه ولا شك اضطراب النفس من اجل عزيز ، أو من اجل المصير .. فسلا يلقى مسيرة الانسان في دربه الطويل الا أن يتعرض مصيره لتهديد ما .. المصير .. دائما يفكر انشاء البشر في المصير .

— ادع لها يا مبروك ياو القلب الابيض .. زينب مستلد اليوم ..
ادع لها أن تقوم بالسلامة ..

زادت هرات رأس الحصان ، وكلت انسان يعهم ما يجب أن
يعهم . فهم سالم أن معنى ذلك .. نعم ستقوم زينب بالسلامة
ان شاء الله .

انساب سالم مع محرى ذكرياته .. لونها يبدو لعينيه غريبا بين
البنفسجي والاسود ، طمها في شغفيه سائل ذابت فيه قطعتان من
سكر وملح .. امتزجا مرا بطو .. فلا عرف طعم هذا ولا ادرك طعم
ذلك .

اخذ يغلب ذكرياته كمن يقلب في حمر ، ليرداد اشتعال النار ويحمر
اوارها . الذكريات دخان لاحداث مضت .. لكي الانسان يصيب ان
يتذكرها مهما كانت بالغة السوء .. ويظل أحيانا انه قد خطفها من
صدره ، لكنه يصبح فريستها في كل حين .

يحاول ان يتخلص من سننه الماضيات ، فلا يستطيع .. تصيح
ذيل الانسان الذي لم يحلق له في جسمه ، فحلق له في نفسه .

لقد بقيت زوجته زينب سبع سنوات دون حمل . رغم انه دار بها
وبنفسه من قبلها على كل الاطباء حتى اطباء القاهرة .. ولجا الى
كل الوصفات البلدة وغير البلدة .

فلم يلع ، حتى اذن الله بعد تمام اليأس واكتمال حلقاته حول
روحها .. فحملت في العام الماضي ، ووضعت ولدا بهي العلامة ،
مشرق اللامح .. وضاء الحنين .

هكذا قالت الذكريات وقال سالم :

— كان نسخة مني .. وكانت عيناه ترقان .. سميته احمد ..
كنت اريده أن يكون رجلا .. رجلا اكبر مني .. كنت اري ان اعلمه
صنعتي .. انها ليست سهلة كما يعتقد البعض .. وليس كل من اوتي
القوة يستطيع ان يحمل حوالا ، ان حمله فن ووضعه فن وضطه على
الطهر فن .. ولا يتاني ذلك الا بالتمرس الطويل .. بالخبرة والفرق
.. آه (استرسل في الاشجان التي تنوع من الذكريات) .

كتب اريد ان يساعدني في عملي .. يخفف حملي .
رنا الى النساء .. قال لنفسه بصوت واهن :

— ها هو احمد يحمل حوال الدقيق بلذات واحدة ، وحين رأني
احمل الحوال على ظهري وقد نزل على وهدني قال لي : اتركه لي
يا ابي (وضحك في مرارة) .

قلت له : انت يا ولد تحسب نفسك رجلا .. ضحك وقال لي :
— لا .. انا لست رجلا معك وفي وجودك . ابتعد است واركه لي .
اطلت رأس الحصان فجأة من شرفة احلامه ، فلم تخرجه من
ساحة الذكريات ، ولم تصرعه عما فيها ولكنها دخلت معه اليها .
قال لنفسه :

— كان يحبك يا مبروك .. اقصد كان سيحك وكنت مستحبه ..
لانه مثلي طبيب القلب ولا يريد من الدنيا غير اللعنة الشريفة .
تابع حديثه وكأنه تذكر شيئا .

— تعرف ترقص يا مبروك ؟ كنت اريدك ان ترقص له في فرحة .
وسعت فجاء من عيبه دموع ساحة ، لم تسمح ذكرياته ولم تمنع
استرسالها ، لكنها افرغت من قلبه شعور الالم ، فبلدا كالكرة مجوفا
هشا ولكنه نابض .

اسابت الدموع على حديثه المعبرين بلذات الدقيق ، فشقت لها
خطين بلون جاده الاسمر من بين لون الدقيق الابيض الذي كسا
وجهه .. كل ما فيه من اللامح حتى ابعه واديه زرموش عيبه .

اسابت دموعه حين تذكر ان زوجته ولدت له ولدا في العام
الماضي . وسهر معها الليل كله يفي بطرحه ويلعب الولود ،
وزينب تضحك لانها اثبتت انها امرأة ولا كل النساء ، وروجة ولا كل
الزوجات ، وام تستطيع ان تنجب وسوف تنجب الكثير ..
كتابة مفاجئة اطلعت وجهه :

— هل تذكر يا مبروك نائي يوم ، حين قالنا الولد ابن جارنا ،
صاحب البحر المشوم عند دكان الحاج متولي ، وقال لي ابنك مات

ياهم سالم .. ساعتها وقع الجوال من فوق ظهري .. فأكبر يا مبروك
أو نسيت ؟ .. هز الحصان رأسه : نعم نعم ..

وقع الجوال واقفا خلف ظهري واستندت عليه لم سأله : وأمه
بابني قال : بخير لكننا قطعنا نفسها من العياط .

طغرت الدمعة من عيني .. ونظرت الى الأرض كأنني أريد أن أخفي
في ترابها الى وحطى الطين .. الولد قال لي : لا تحزن يا عم سالم
ربنا بعوضك عنه .. الحقيقة .. كلمة الولد رفعت من صدري حملا
ثقيلا ..

فستعت ميني وكان كلمته كانت التصريح لي بالحياة .. احسست
أن الولد لو لم يقلها فربما أطبقت يدي على رقبتيه ، فلا أتركها الا بعد
أن يطب ساكت ..

اقترب من نهاية الذكريات .. والذكريات طريق طويل .. مهما
كانت مرة يحب الإنسان أن يرجع لها .. يسمعها ويحسها ويحتضنها
ويحافظ عليها .. يردد لها بينه وبين نفسه ويتأكد دائما من وجودها
.. لم تغفلها الذاكرة ولم يتلها النسيان .

انها صندوق الجواهرات الثمينة .
ويتذكر سالم :

— فأكبر يا مبروك قبل أن يقابلنا الولد بلحظات .. ماذا حدث لك
وقعت على ركبتيك وأنت تصعد الكوبري فأكبر أم نسيت ؟ وانقلب
الديق .. قلبي انخطف مني ساعتها ، لكنني قلت : الحمد لله أصبح
عندي أحمد .. هو ذراعي وظهري .. نسيت ربنا مرة وفاتت ،
والعوض من عند الله هو الاول والاخر .

حين طفا قليلا فوق سطح الذكريات وأصبح قادرا بوعيه على
العيش في الحاضر الذي كان غالبا عنه .. لمح بعينه كوبري المدينة
فأفاق من رحلات أفكاره وأغلق على الفور باب ذكرياته العريش .

فقر من العربة ليكون الي جوار حصانه . بشجعه ويشد من
أزره وهو في المرحلة الصعبة من الطريق . ولم ينس أن يضع ذيل

جانبه بين اسنانه ، حتى لا تموق حركته وأخذ يردد بعض الكلمات
منقمة ، يبعث بها العزم ويحييه في قلب مبروك .

هيلا .. هيلا .. أجمد يا مبروك .

ويضرب الحصان حوافره في الأرض ، يحاول أن يدفع الطريق الى
الخلف ، يطويه ويتقدم — هيلا . على الله .. يابو الفوارس .

مضى سالم يسمح للعرق المتصبب على رقبة مبروك .. ومع هذا
الحنان الذي تتدفق به يد سالم ، تشتد هزيمة الحصان ، فالحنان
يذكره الحجر ، وتقوى ضربات الحصان في الأرض ، يزرعها همة
وحماسة .. وصاحبه الى جانبه ، ينقل بصره بين ما مضى من
الكوبرى وما بقي منه .

يا قوة الله .. الشدة من عنده ..

ويشد مبروك حيله ، ويتقدم الى أعلى ارتفاع في الكوبري ، مفتوح
العينين في أصرار ، مرفوع الرأس في ثقة .. لا يعبأ بحمله وكأنه غير
موجود .. لتمسسه العيش صعبة . تحتاج الى الصبر والبذل
والتصميم .

ما ان أتمت العربة عبور الكوبري الطويل المرهق ، الذي يحمل
أسوأ الذكريات لسالم وحصانه وللآخرين ، حتى التفتت مينا سالم
بالفرح وبرقت ابتسامة على شفتيه ، ورقص قلبه بين جنبيه ..
أخذ يجري في خفة الى جوار حصانه ويقترب من رأسه ، يكاد
يتعلق فيه .. أخذ يواليه وهو يفتن بعيان البرسيم .. يشاؤلها
الحصان في زهو المنتصر ، كأنه يرى نفسه جديرا بها وبخير منها .

سالم يهمل في فرح :

— أنت لم تقع يا مبروك كما وقعت في المرة الماضية .. الله
لا يرجعها .. زينب ستلد أحمد وسيمش أحمد بسعد بأذن الله ..
سيمش يا مبروك .

زادت هزة رأس الحصان .. وفهم منها سالم أن الولد سيعيش ..
وتنهذ سالم في اتسراح ، صعد الى العربة يكمل باقي الطريق ويفكر
على مهل ، فيما ينوي أن يفعله لابنه الجديد .

سوف يعيش ابني يا مبروك .. هل تعرف لماذا ؟ .. لقد
احضرت له طبيباً .. احسن طبيب .. سوف يأخذ مني ما يشاء ..
المهم ابني .

— لا بالصمت قليلا وكأنه يحاول تصحيح مسار فكره .
— ان اسميه احمد فأحمد قد مات .. ساسميه باسمك .. لكي
يبارك الله فيه .

ولن اطمئه صغتي .. يبدو ان احمد حين علم اني سأعلمه
صغتي . ذهب ..

تركها وتركتني .. سوف اعلمه في المدارس الكبيرة في مصر كي
يصبح ضابطا او طبيباً .

واشتري له سيارة وليس عربة كاردو ، سوف يكون شخصا عظيما
سيكون اهم منك عندي ، يجب ان تقبل هذا من الآن .. وسوف
ترتاح من العمل بمض الوقت كي يركبك ، وتتنزه به في الحقول
والمزارع .. واباك .. اياك ان تهمله او تؤذيه او تتركه يسقط من
فوقك .. اهتمني به يا مبروك .. سيحبك وتحبه .

وصلا الى المدينة .. انزل سالم الجوالات ، وركب الحصان وطرق
سوطه .

اسرع الحصان كما لم يسرع من قبل ، كانه يعلم بما يخالجه صاحبه
من القلق والامل .

وصل سالم الى البيت .. ففز من العربة واندفع الى الداخل
مشرعا اذنيه ، خافق القلب ، يكبر باسم الله ويستعين به .

للقته حماته واقصة اللامع ، باسمه الشفاء قائلة :

— افرح يا سالم .. مبروك .

اضادت قلبه انوار البهجة فهلل : ابني حبيبي مبروك ابني .
فنبهته حماته فرحة : قل ابنتي .. جادت لك بنت كالقمر النير .

تسمر سالم في مكانة وجعلت عيناه .. بنت .

ردت عليه حماته : طالعة لامها ..

— بنت !!

قالها كانه لا يفهم معناها .. ما معنى كلمة بنت .. ماذا تعني
.. ما هي ؟

غلبته الدهشة كانها انجبت له راديو مثلا او كتاب ..

اخذ يستعيد افكاره وكأنه يلوم نفسه ، لماذا لم يفكر في ذلك ؟
لقد نسي هذا الموضوع تماما .. لقد تصور ان الدنيا ليس فيها غير
الذكور .. الامل خدمه واستدرجه الى مكان متعزل .

اخذ ينظر الى حماته نظرة الطالب الذي جاء ليمتحان في كتاب
ففوجيء بأنه سيمتحان في كتاب مختلف تماما .. ماذا سيفعل في
ورقة الإجابة ؟

اخذ يقلب رأسه يمنة ويسرة وهو لا يكاد يفهم شيئا ، وبجاهد
في تخليص نفسه من الموقف الذي غرق فيه كالابله .. ويحاول
ان يتكيف مع الموقف الجديد : الحمد لله على كل شيء .

نظرت اليه حماته .. انهمته عيناه بالتقصير في الفرع :

— ما بك يا رجل .. اذهب واجلس الى جوار زوجتك .. ست
الستات .

تقدم الى الحجرة التي تنام فيها زوجته ، متهدل الاكتاف ،
منكسر الرأس كانه ذاهب الى السجن .. وفي الغرفة رأى زوجته
متشد عوده .. وأبتسم حين لاح له وجهها رغم الوهن والارهاق
وبقايا الالم .

نظرت اليه زوجته نظرة المنتصر بعد جهد ، نظرة من يتوقع ان
يشه كل الناس .

« تمت »

اشترك في روايات الهلال

وكلاء اشتراكات مجلات دار الهلال

السيد / هاشم علي نحاس
جدة - ص ٠ ب رقم ٤٩٢
المملكة العربية السعودية

M. Miguel Marouli Oury
B. 25 de Março 900
Caixa Postal 7406
Sao Paulo, BRASIL

السيد / عبدالعال بسيوني
زغلول الكويت - الصفاء -
ص ٠ ب رقم ٢١٨٢٢
تليفون ٧٤١١٦٤

THE ARABIC PUBLICATIONS
DISTRIBUTION BUREAU
7, Sishoonthrope Road
London S.E. 26
ENGLAND

(أسعار الاشتراك على الصفحة الثابتة)

الفهرس

- ٧ المدم
- ١٢ المصفور والريح
- ١٩ لحظات قبل ركوب الحصان
- ٢٧ السقف
- ٥٧ الوادي المقدس
- ٦٧ المظاهرة
- ٧٥ الوجه والحائط
- ٨٥ لابد ان ترحل
- ٩٧ البسابة
- ١٠٧ المعجز
- ١٢٣ اشتباك
- ١٣١ قرية فوق الارض
- ١٤١ مبروك

رقسم الاياع بدار الكتب والوثائق القومية - ٢٢٩٦ / ٨٧

التزيم المولى : ٧ - ٤٨ - ٩٧٧ ISBN

هذه الرواية

هذه هي المجموعة القصصية الثالثة للاديب القاص فؤاد قنديل. لكنها تختلف تمام الاختلاف في الاسلوب والرؤيا والنوع عن سابقتها « عقدة النساء » و « كلام الليل » . سوف يطالع القارئ العربي في هذه المجموعة الفكاره ، ويرى فيها وجهه ، ويسمع من خلال تصديق مواجها خفقات قلبه واثين أوجاعه، بل وثورة الصمت في اعماقه .

سنضع ايدينا على مظاهر مثابته من الصراع الانساني في مسيل حياة افضل، ولكن الحريات تضارب والرغبات تتشابك لتعلو حرية على حرية ، ولتتقلب رغبة على رغبة .

رحلة متميزة ومبهرة ، ياخذنا فيها الكاتب من خصال قصصه لندهش ، وندهش طويلا لاننا نرى فيها وجوها لنا كانت خفية تكشف الهجور من حياتنا والمستور من شخصيتنا .

هذه القصص هي خلاصة مركزة لحياتنا ، وهي في الوقت ذاته مرآة جديدة نرى من خلالها مآلاتنا .

انها تؤكد أبرز سمات قصص فؤاد قنديل الاصاله والصدق . بساطة الاسلوب وسهولته .